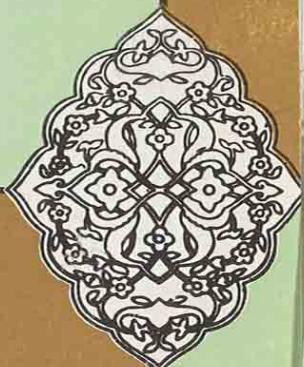


العلامة السيد محمد تقى المدرسي

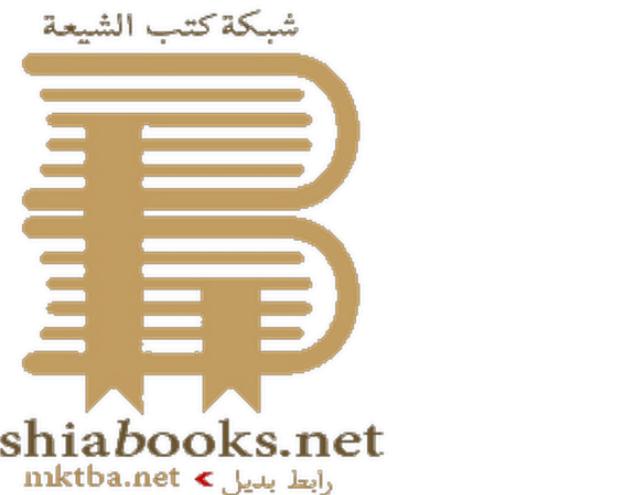
عليه السلام
الأمام السجاد

قدوة وأئمة



السلام عليه
الْمَلَكُوتُ لِلَّهِ

قُدْوَةٌ وَأَئِسَّوَةٌ



اسم الكتاب : الامام السجاد(ع) قدوة واسوة
المؤلف : العلامة السيد محمد تقي المدرسي
الناشر : مكتب العلامة المدرسي
عدد النسخ : ٣،٠٠٠
الطبعة : الاول شوال ١٤١٠
الثمن : ٤٠٠ ريال

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنا أقرأ حياة الامام السجاد حاولت ان ارسم في ذهني صورة متكاملة عن شخصيته، وما كدت انتهي من ذلك حتى تذكرت آيات الذكر التي ترسم صورة عباد الله الصالحين.

عندما نتدبر في تلك الآيات يوسرى الشيطان في انفسنا .. هل انها تحدثنا عن بشر أمثالنا ام عن ملائكة خلقوا من نور قدرة الله ؟ أم انها رواية أدبية ؟ حاشا لله ان تكون في كلمات الله ذرة من المبالغة او ليست المبالغة كذباً ؟ والكذب من الباطل الذي لا يأتي كتاب الله ؟ فما هي الحقيقة ؟ نعرف الحقيقة تماماً حينما نتلو قصص الأنبياء والآئمة نعرف ان تمثيل تلك الصورة المشرقة التي تعكسها الآيات عن

ان ولاية اولياء الله تجعلنا نلتمس سيرة حياتهم الوضيّة، وحين نتعرّف عن كثب عليهم نتحصّن ضدّ وساوس الشّيطان الذي يوحي الى اوليائه ان تمثيل صفات القرآن هذه مستحيل او انها انما ذكرت تشجيعاً او هي روائع ادبية بليغة.

ان هذا الوسواس اعظم مكائد الشيطان في اغواء البشر عن معارج الكمال الالهي .. ولا يقضي عليه شيء مثل دراسة حياة الانبياء والائمة والصديقين باعتبارهم بشرأً امثالنا انعم الله عليهم ورفعهم اليه مقاماً محموداً.

ومنذ ثلاث وعشرين عاماً أنعم الله عليّ بالتأليف عن حياة الأئمة الهداء، عبر مناسبات نادرة. لذلك لم أوفق لاكمال سلسلة قدوة واسوة .. حول النبي واهل بيته الكرام.

والى يوم حيث وفقني الله لكتابة تدبراتي في القرآن والتي سميتها
(من هدى القرآن)، اعود الى هذه السلسلة عسى الله ان يوفقني هذه

المرة لا تمامها . ولكن كنت اتساءل: ماذا اسمي هذه السلسلة التي بقيت منها أربعة من اصل ١٤ ، واخيراً وقعت على اسم مناسب انتهيت اليه خلال قراءة زيارة الجامعة وهو .. اعلام الهدى .. وحيث ان القرآن هدى للمنتقين وحياة الائمة تمثل للقرآن جاء الاسم مناسباً لذلك كما وتناغم مع اسم كتابي (من هدى القرآن) ولكن ازدادت حيرتي عندما وقفت على شاطيء بحر زخار ماذا اغترف منه واقدمه للاخوة القراء وقد كتبت من المذكرات حول حياة الامام عليه السلام ما تكفي لكتابه مجلد كبير بيد اني حكمت على نفسي بالكتابة المختصرة ، وهنا يكمن سبب حيرتي ماذا اختار من حياته التي لا يتسع قلم مثلي لاستيعابها .

وهكذا استمی حکم عذرًا لو وجدتم قصوراً أو تقصيرًا واسعين في الحديث عن حياته الكريمة . واعتبروا هذه الدفاتر مدخلاً إلى الكتب المفصلة عن حياته .

اسأل الله ان يوفقني لذلك وان يحفظ عملي من شوائب الرياء والسمعة والاش ووالبطرو يتقبله ويحصنه من الأحباط بالعجب والذنب انه ولی التوفيق .

طهران

محمد تقی المدرسي

الفصل الاول

تتملّكنا الدهشة عندما نستمع إلى الوحي يأمرنا بالولاية، ونتساءل :
ما هذا التأكيد المتواصل ، ما هذه التعبيرات البالغة أمراً وتحريضاً وترغيباً؟

يقول ربنا سبحانه :

«واطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»

وتتكرر أوامر القرآن بالطاعة لأولي الأمر الشرعيين والتسليم لأمرهم ،
والنهي عن طاعة الطغاة والجبارية وضرورة الكفر بهم أكثر من مائة مرة ،
بصيغ مختلفة وضمن سياقات شتى كلها تهدف ترويض النفس البشرية
على الطاعة والإنصباط ..

ويقول ربنا سبحانه :

«فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجاً مَا قَضَيْتَ

ويسلموا تسليماً»^(١)

وتتوالى آيات الذكر لتأكيد على الرجوع إلى الله ورسوله عشرات المرات وبتعابير شتى .

ويقول ربنا :

«أَلَمْ ترَ إِلَيَّ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَمْنَوْا بِمَا أُنزَلْتِي
إِلَيْكُمْ ، وَمَا أَنْزَلْتِي مِنْ قَبْلِكُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَيْكُمْ
الظَّاغُوتُ وَقَدْ أَمْرَوْا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»^(٢)

وهكذا العديد من الآيات تنهى وبشدة باللغة من التحاكم إلى
الظاغوت وتأمر باجتنابه .

ويقول ربنا سبحانه وهو ينهي مئات المرات عن الشرك ويعتبره
ظلماً عظيماً لا يغفره الله أبداً يقول :

«وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لِئَنِ اشْرَكْتَ لِي حَبْطَنَ عَمْلَكَ»

فما هو الشرك ، أليس عبادة الأصنام شركاً ؟ أليس اتخاذ الارباب

. (١) النساء / ٦٥

. (٢) النساء / ٦٠

من دون الله شركاً كما اتخد اليهود والنصارى الأخبار والرهبان ارباباً؟

وهكذا نجد ان الولاية الالهية محور آيات الذكر وروح توحيد الله ،
والسبيل الى رضوانه ، والطريق الى جناته .

لماذا كل ذلك ؟ ان شرح حكمة ذلك يقتضي كتاباً مفصلاً ولكننا
نختصرها في كلمات نرجو ان يسعفنا فيها تدبر القارئ الكريم ، وافق
ثقافته الاسلامية .

اولا : امام الانسان سبيلان سبيل الله الذي يهديه الى الجنة
والرضوان وسبيل الشيطان الذي يحمله الى سوء الجحيم . يتوجه كل
سبيل الى جهة ، ولكل جهة امام ولكل امام صفات واسماء ، ولكل امة
تابعة صبغة وشرعه ومنهاج !

والصراع الأبدي الذي لا هدنة فيه ولا مداهنة ولا حلول وسط ، انه
الصراع بين سبيل الله وسبيل الشيطان .

وقال سبحانه :

«يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن
كثير * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي
به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم

من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم»(١).

ولولاية الله، وتولي اوليائه واتباع الامام المختار من عنده،
والانحراف في حزب الصالحين انه لا ريب الولاية الالهية فكيف
لا تتوافق بها رسالات الله ورسله واوصياؤهم .

ثانيا : حكمة وجود الانسان فوق هذا الكوكب ابتلاء ليعلم هل
يصدق ام هو من الكاذبين ؟ هل يخلص ام يكون من المنافقين ؟ ولا
يبتلى البشر بشيء كما يبتلى باتباع القيادة الالهية ورفض جبارة المال
وطغاة السلطة او تدریي لماذا ؟

ان في ضمير الانسان كبراً لابد ان يتغلب عليه حتى يصبح من اهل
الجنة ، وان لم يتخلص منه باجتهاده وجهاده في الدنيا فانه سوف يخلص
منه بنار الجحيم في الآخرة ، لانه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
ذرة من الكبر ، ومحتوى الكبر النزعة السخيفة نحو ادعاء الربوبية ولو
تسنى لاي انسان ما تسنى لفرعون لما امتنع عما قاله : «انا ربكم
الاعلى» .

وانما يتظاهر القلب عن الكبر اذا اُمر بطاعة من ليس بأكثر منه مالاً

(١) المائدة / ١٥٦ .

و ولدأً ، إطاعته بسبب امر الله، وهكذا كانت الفتنة الكبرى للناس عند ابتعاث الرسل إذ كيف يطيعون بشرأً من امثالهم وقد حكى الله عنهم بقوله :

«أَبْشِرَاً مَنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُه إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ
وَسُعْرٍ» (١)

ويتساءل البسطاء : لماذا امتحن الله خلقه بطاعة الانبياء وأوصيائهم وقد اختارهم من اوساط الناس و يمضي المتسائل قائلاً اولم يكن من الافضل ان يزودهم الله بقوى خارقة وبأموال وبنين حتى تسهل طاعة الناس لهم ؟

كلا .. لأنه عندئذ كانت تبطل حكمة الابلاء ولم تكن تصبح طاعتهم تطهيراً للنفوس من الكبر وبالتالي لم يكن المطيعون لهم يزكون بذلك اعداداً لدخول الجنة التي هي مأوى عباد الله الخالصين من دنس الشرك والكبر.

هكذا يبين هذه الحكمة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اذ يقول :

«ولو أراد الله أَن يخلق آدم من نور يخطف الابصار

(١) القمر / ٢٤ .

ضياؤه، ويبهر العقول رداوئه، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل ، ولو فعل لظللت له الاعناق خاضعة ، ولخفقت البلوى فيه على الملائكة ، ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه بعض ما يجهلون اصله ، تمييزاً بالاختبار لهم ، ونفيأ للاستكبار عنهم ، وابعاداً للخيلاء منهم »(١)

ويضيف الامام في ذات السياق قائلاً :

«ولوارد الله سبحانه لأنبيائه – حيث بعثهم – ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ، ومفارس الجنان ، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل ، ولو فعل لسقوط البلاء ، وبطل الجزاء ، واضمحلت الابناء ، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين ، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ، ولا لزمت الاسماء معانيها ، ولكن الله سبحانه جعل رسله اولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم ، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى ، وخصاصه تملأ الأ بصار والاسماع أذى»(٢)

(١) نهج البلاغة (المعجم المفهرس ص ٦٨).

(٢) المصدر ص ٧٠.

وبعد بيان مفصل حول حكمة الاختبار في فصل زخارف الدنيا عن
أولياء الله يقول :

«ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد،
ويتعبدهم بأنواع المجاحد ، ويبتليهم بضروب
المكاره اخراجاً للتكبر من قلوبهم ، واسكاناً
للتدلل في نفوسهم .

فالله الله في عاجل البغي واجل وخامة الظلم
واسوء عاقبة الكبر، فانها مصيبة ابليس العظمى ،
ومكيدته الكبرى التي شاوره قلوب الرجال مشاورة
السموم القاتلة»(١)

وهكذا حرّض الوحي على التسليم للأنباء وأولي الأمر من خاصتهم
وجعل فيه ثواباً عظيماً ، وجاء في حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه
وآله :

«إِنَّ أُوتْقَ عَرِيَ الإِيمَانْ : الْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ
فِي اللَّهِ ، وَتَوَالِي أُولَائِنَ اللَّهِ ، وَتَعَادِي عَدُوِ اللَّهِ»(٢)

وروي عن الامام زين العابدين عليه السلام :

(١) المصدر ص ٧٠ .

(٢) بحار الانوار ج ٢٧ ص ٥٧ .

«من احبنا لا لدنيا يصيّبها منا، وعاد عدونا لا
لشحناه كانت بينه وبينه، أتى الله يوم القيمة مع
محمد وإبراهيم وعلى»^(١)

وكما يتحدى الانسان بالولاية نزعة الكبر وادعاء الربوبية في ذاته
يتحدى بها نزعة الطمع وشهوات الدنيا، لأن من يطيع اولياء الله يحاربه
طغاة الارض والمتربون في الدنيا بشتى وسائل الحرب بالدعائية المضادة
وبالتضييق الاقتصادي، وبالاذى الجسدي وحتى بالتشريد والقتل.

ولأن الولاية كانت امتحاناً عظيماً للانسان جعلت شرطاً بقبول
الاعمال، حيث ان هدف سائر الطاعات تذليل النفس البشرية المتفرعنة
والمحتجزة، تذليلها لطاعة ربها. وتطهيرها من عبودية الله عن ذنس الكبر
والشرك والشك – وهذا الهدف يبلغ قمته بالولاية، حيث يخضع البشر
لبشر مثله لا يتميز عنه بقوة خارقة، ولا ثروة عريضة وانما يأمره الله
بذلك ، وهذا ما تأباه النفس اشد الاباء وقد سأل بعضهم عذاب الله
الواقع لكي لا يؤمن بالولاية .

دعنا نقراء معاً أحاديث في فضل الولاية لنعرف مدى فضلها وكيف
أنها قطب الرحمي في تعاليم الوحي .

(١) المصدر ص ٥٦ .

جاء في حديثٍ مفصلٍ عن أمير المؤمنين – عليه السلام – في
إجابته لأسئلة زنديق :

«إن الإيمان قد يكون على وجهين، إيمان
بالقلب، وإيمان باللسان كما كان إيمان المنافقين
على عهد رسول الله (ص) لما قهراهم السيف
وشنلهم الخوف، فأنهم امنوا بالسنتهم، ولم تؤمن
قلوبهم، فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن
سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره – كما
استكبر أبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر
الآم عن طاعة آبائهم، فلم ينفعهم التوحيد،
كما لم ينفع أبليس ذلك السجود الطويل، فإنه
سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يردها
غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فلذلك لا
تنفع الصلاة والصدقة إلا مع الاهتمام إلى سبيل
النجاة وطريق الحق»(١).

ولذلك لم يقبل الله طاعة عبد لم يقبل الولاية التي اجتهد فيها، هكذا
جاء في الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليهم
السلام .

«مرّ موسى بن عمران برجل رافع يده إلى السماء

(١) المصدر ص ٧٥.

يدعو فانطلق موسى في حاجته ففجأه عنه سبعة أيام، ثم رجع إليه وهو رافع يديه يدعوه يتضرع ويسأله حاجته، فأوحى الله عزوجل إليه : يا موسى لو دعاني حتى يسقط لسانه ما استجبت له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به»^(١)

ولالية الانسان صبغة اعماله ان خيراً فخير وان شراً فشر، لذلك جاء في الحديث المأثور عن رسول الله — فيما رواه أبو سعيد الخدري :

«لو أن عبداً عبد الله ألف عام ما بين الركن والمقام، ثم ذبح كما يذبح الكبش مظلوماً لبعثه الله مع النفر الذين يقتدي بهم، ويهتدي بهداهم، ويسيء بسيرتهم إن جنة فجنة وإن ناراً فنار»^(٢)

وهكذا الولاية تكون وجهة المجتمع وعليها يكون الحساب والجزاء فقد روي عن الامام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزوجل قال :

«وعزتي وجلالي لا أُغذبن كل رعية في الاسلام دانت بولالية امام جائز ليس من الله عزوجل، وان

(١) اي باب الطاعة للنبي واوصيائه المصدر ص ١٨٠ .
(٢) المصدر ص ١٨٠ .

كانت الرعية في اعمالها بره تقية ، ولأعفون عن
كل رعية دانت بولاية امام عادل من الله تعالى
وان كانت الرعية في اعمالها طالحة مسيئة)١(

ضمن اطار الولاية الالهية لابد ان نعرف شخصية الامام السجاد عليه
السلام وابعاد حياته ، انه لم يكن سائرا الانبياء والائمة ولا يكون
خلفاؤهم من الصديقين والعلماء الربانيين طلاب حكم وسيطرة ، او
قادة حركات سياسية كالتي نفهمها ، بلى أنهم سعوا جاهدين من اجل
تطهير قلوب الناس من الجبارة ومجتمعاتهم من الطاغوت ولكن ذلك لم
يكن حكمة حياتهم الاولى حتى نقول : انهم قد فشلوا في تحقيق ذلك
انما كانت الحكمة الاولى ابتلاء الناس ، حيث قاموا — بتلاوة
وحي الله وتعليم الناس وتركيتهم وقد قال ربنا سبحانه :

«هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعليمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين»

بلى . كان من الاهداف السامية لبعثة الرسل ، ونهضة أوصيائهم ،
وقيام أوليائهم ، إعداد الناس للقيام بالقسط . لا أقول قيامهم بالقسط بين

(١) المصدر رقم ٢٠١ .

الناس ، لأن ذلك يوحى بالوكالة في ذلك وهذا ما ينفيه الوحي ببلاغة
نافذة استمع الى قول ربك العزيز:

«لقد ارسلنا رُسلنا بالبيانات ، وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه
بأس شديد ، ومنافع للناس ، وليرعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب ، ان الله قوي عزيز»(١) .

● الامام السجاد ورث الانبياء

ولأن الامام زين العابدين – عليه السلام – ورث عن جده النبي
المصطفى – عليه وآلـه الصلاة – دور الانبياء فان الحكمة الاولى
لامامته هي ذات الحكمة الاولى في رسالة الانبياء ، ابتلاء الناس بعد
دعوتهم الى الله وكانت سائر الاهداف السامية كاقامة القسط ونصرة
المظلومين في امتداد تلك الحكمة اي انها تتفرع عليها وتأتي بعدها .

ولقد تسنى لسائر ائمة الهدى – عليهم السلام – الظروف ل القيام بتلك
الاهداف المتدرجة وبالذات الهدف السياسي كما فعل الامام علي
عليه السلام عندما نهض باعباء الحرب ضد قريش مرتين مره في عهد
النبي وتحت لواءه . ومرة بعد النبي وتحت لواء الرسالة الحنفية وبرفقه

(١) سورة الحديد / ٢٥ .

اصحاب النبي — صلى الله عليه وآله — وهكذا نجله الامام الحسن حيث نهض هو الآخر باعباء الحرب ضد معاوية، ثم اوقف الحرب لمصلحة المسلمين وكذلك الامام الحسين — عليه السلام — حيث قاوم معاوية بالسبيل السلمية، وقام ضد ابنه يزيد بالسيف حتى استشهد مظلوماً.

وهكذا قام سائر الائمة بأدوار سياسية لوسائل غير مباشرة وبدرجات مختلفة.

بينما الظروف العامة كانت تتناسب تمغض الامام السجاد — عليه السلام — تقربياً في الدعوة الربانية حسبما نبين ذلك في مناسبة اخرى انشاء الله ..

وبذلك كانت حياة الامام السجاد قطعة مشرقة بنور ربه، كانت تجلياً باهراً للإيمان الخالص بالله، للهיאم الشديد بالله، للعبادة والتبتل.

وحيينما نقرأ معاً صفات الإمام على لسان نجله الإمام الباقر — عليه السلام — نعرف ماذا تعني ولالية الله، وولالية أوليائه، ولماذا التأكيد عليها، وكيف كانت حياة السجاد شلال نور الهي، يقول نجله الإمام الباقر — عليه السلام — :

«كان علي بن الحسين — عليه السلام — يصلي

في اليوم والليلة الف ركعة، كما كان يفعل امير المؤمنين – عليه السلام – كانت له خمسماة نخلة. فكان يصلى عند كل نخلة ركعتين، وكان اذا قام في صلاته غشى لونه لون اخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت اعضاؤه ترتعد من خشية الله عز وجل ، وكان يصلى صلاة مودع يرى انه لا يصلى بعدها أبداً ، ولقد صلى ذات يوم فسقط الرداء عن احد منكريه فلم يسوه حتى فرغ من صلاته، فسألته بعض اصحابه عن ذلك ، فقال : ويحك أتدرى بين يدي من كنت ؟ إنَّ العبد لا تقبل من صلاته إِلَّا مَا أُقْبِلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ ، فقال الرجل : هلکنا ، فقال : كلاً .. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ مَنْ تَمَمَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ ، وكان – عليه السلام – ليخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره ، وفيه الصرر من الدنانير والدراريم وربما حمل على ظهره الطعام او الحطب حتى يأتي باباً باباً فيقرره ، ثم ينال من يخرج اليه وكان يغطي وجهه اذا نال فقيراً لئلا يعرفه فلما توفي – عليه السلام – فقدوا ذلك ، فعلموا انه كان علي بن الحسين – عليه

السلام—، ولما وضع — عليه السلام — على المغتسل نظروا الى ظهره وعليه مثل ركب الابل ، مما كان يحمل على ظهره الى منازل الفقراء والمساكين ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خرز فتعرض له سائل فتعلق بالمطرف فمضى وتركه ، وكان يشتري الخزفي الشتاء اذا جاء الصيف باعه فتصدق بثمنه ، ولقد نظر — عليه السلام — يوم عرفه الى قوم يسألون الناس فقال : ويحكم غير الله تسألون في مثل هذا اليوم ، إنه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون العجالي أن يكون سعيداً؟ ولقد كان — عليه السلام — يأبى أن يواكل أمه ، فقيل له : يا ابن رسول الله أنت ابر الناس وأوصلهم للرحم فكيف لا تواكل امك ؟ فقال : إني أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إلينه ، ولقد قال له رجل : يا ابن رسول الله إني لأحبك في الله حباً شديداً ، فقال : اللهم إني أعوذ بك ان أحب فيك وأنت لي مبغض ، ولقد حج على ناقة له عشرين حجة فما قرعها بسوط ، فلما نفقت ^(١) أمر بدهنها لثلا يأكلها السباع ، ولقد

(١) نفقة الدابة ماتت (القاموس) .

سُئِلَتْ عَنْهُ مُوْلَاهُ لَهُ فَقَالَتْ : أَطْنَتْ وَأَخْتَصَرَ
فَقِيلَ لَهَا : بَلْ اخْتَصْرِي ، فَقَالَتْ : مَا أَتَيْتَهُ بِطَعَامٍ
نَهَارًاً قَطْ ، وَمَا فَرَشْتَ لَهُ فَرَاشًاً بَلِيلٍ قَطْ ، وَلَقَدْ
انْتَهَى ذَاتِ يَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ يَغْتَابُونَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ ،
فَقَالَ لَهُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَغَفِرَ اللَّهُ لَيْ ، وَإِنْ
كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فَغَفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَكَانَ — عَلَيْهِ
السَّلَامُ — إِذَا جَاءَهُ طَالِبٌ عِلْمًا فَقَالَ : مَرْجَبًا
بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — ، ثُمَّ
يَقُولُ : إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلَهُ لَمْ يَضْعِ
رَجْلِيهِ عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا سَبَحَتْ
لَهُ إِلَى الْأَرْضِينَ السَّابِعَةِ ، وَلَقَدْ كَانَ يَعْوَلُ مَائَةً أَهْلَ
بَيْتٍ مِنْ فَقَرَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ يَعْجَبُهُ أَنْ يَحْضُرَ
طَعَامَهُ الْيَتَامَى وَالْأَضْرَارِ وَالزَّمْنَى وَالْمَسَاكِينَ الَّذِينَ
لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، وَكَانَ يَنَاوِلُهُمْ بِيَدِهِ ، وَمِنْ كَانَ مِنْهُمْ
عِيَالَ حَمْلَ لَهُ إِلَى عِيَالِهِ مِنْ طَعَامِهِ ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ
طَعَامًا حَتَّى يَبْدأَ فِي تَصْدِيقِ بَمْثُلِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ تَسْقُطُ
مِنْهُ كُلُّ سَنَةٍ سَبْعُ ثَفَنَاتٍ مِنْ مَوَاضِعِ سُجُودِهِ لِكُثْرَةِ
صَلَاتِهِ وَكَانَ يَجْمِعُهَا فَلَمَّا مَاتَ دُفِنَتْ مَعَهُ ، وَلَقَدْ
بَكَى عَلَى أَيْمَانِهِ الْحُسَينُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَشْرِينَ
سَنَةً وَمَا وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامًا إِلَّا بَكَى حَتَّى قَالَ لَهُ

مولى له : يا ابن رسول الله أما آن لحزنك ان ينقضي ؟ فقال له : ويحك ان يعقوب النبي عليه السلام – كان له اثني عشر اباً فغيب الله عنه واحداً منهم فايضت عيناه من كثرة بكائه عليه ، وشاب رأسه من الحزن ، واحد دودب ظهره من الغم ، وكان ابنته حياً في الدنيا ، وانا نظرت الى ابى واخي وعمى وسبعة عشر من اهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني ؟!»^(١)

وقد زخرت كتب التاريخ بكرامات الإمام^(٢) ولا عجب . ان اماماً هذه صفاتـه، يكرمه الله بفضله اولم يكرم الله عباده الصالحين باستجابة دعواتهم ؟

وقد قال سبحانه :

«وقال ربكم ادعوني استجيب لكم»^(٣)

فكيف لا يستجيب لمن ذاب في حب ربه حتى خشي عليه الهلاك من شدة العبادة ، تعالوا نقرأ معاً الرواية التالية ثم نقيسها بما نعرفه من

(١) بحار الأنوار / ص ٦٣/٦١ .

(٢) سوف نذكر بعضاً منها في خاتمة الكتاب ..

(٣) غافر / ٤٠ .

قصص القرآن حول الصالحين من عباد الله نرى انهم نبعان من عين واحدة.

ابراهيم بن ادهم وفتح الموصلي قال كل واحد منها : كنت اسigo في الbadية مع القافلة ، فعرضت لي حاجة فتنحيت عن القافلة ، فاذاانا بصبي يمشي قلت : سبحان الله بادية بداء وصبي يمشي ، فدنوت منه وسلمت عليه فردا علي السلام فقلت له : الى اين ؟ قال : اريد بيت ربي ، فقلت : حبيبي انك صغير ليس عليك فرض ولا سنة ، فقال : ياشيخ ما رأيت من هو اصغر سنآ مني مات ؟ !! فقلت : اين الزاد والراحلة ؟ فقال : زادي تقواي ، وراحتي رجلاي ، وقصدي مولاي ، فقلت : ما أرى شيئاً من الطعام معك ؟ فقال : ياشيخ هل يستحسن ان يدعوك انسانا الى دعوة فتحمل من بيتك الطعام ؟ قلت : لا ، قال : الذي دعاني الى بيته هو يطعمني ويستقيني ، فقلت : ارفع رجلك حتى تدرك (**) فقال : علي الجهاد وعليه البلاغ اما سمعت قوله تعالى :

«والذين جاهدوا فينا لنهدئنهم سبلنا وان الله لمع
المحسينين» (١)

قال : فيما نحن كذلك اذ اقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض

(*) يعني ارفع رجلك - اورحلك - عن المركون ، واركب مطيتي حتى تدرك الحج .

(١) سورة العنكبوت / ٦٩ .

حسنة فعائق الصبي وسلم عليه، فاقبلت على الشاب وقلت له : أسألك
 بالذى حسن خلقك من هذا الصبي ؟ فقال : أما تعرفه ؟ هذا علي بن
 الحسين بن علي بن ابى طالب فتركت الشاب واقبلت على الصبي ،
 وقلت : اسألك بآبائك من هذا الشاب ؟ فقال : اما تعرفه ؟ هذا اخى
الحضرىأتينا كل يوم فيسلم علينا ، فقلت : اسألك بحق آبائك لما
 اخبرتنى بما تجوز المفاوز بلا زاد ؟ قال : بل اجوز بزاد ، وزادي فيها
 أربعة اشياء ، قلت : وما هي ؟ قال : أرى الدنيا كلها بحذافيرها مملكة
 الله ، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وإمامه وعياله ، وأرى الاسباب
 والارزاق بيد الله ، وأرى قضاء الله نافذاً في كل ارض الله ، فقلت :
 نعم الرزاد زادك يازين العابدين ، وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة ، فكيف
 مفاوز الدنيا ؟ (١)

وقصة مشابهة يرويها حماد بن حبيب الكوفيقطان فيقول :

انقطعت عن القافلة عند زباله (٥) فلما اجئني الليل أويت الى
 شجرة عالية ، فلما اختلط الظلام إذا انا بشاب قد اقبل عليه أطمار يغض
 يفوح منه رائحة المسك ، فاخفيت نفسي ما استطعت ، فتهيأ للصلوة ، ثم
 وثب قائماً وهو يقول : يا من حاز كل شيء ملكته ، وقهر كل شيء
 جبروتاً ، اولج قلبي فرح الاقبال عليك ، والحقني بميدان المطيعين لك ،

(١) قصہ ابراہیم - بحار الأنوار ٣ / ج ٤٦ زباله : اسم موضع بطريق مکہ .

ثم دخل في الصلاة فلما رأيته وقد هدأت اعضاؤه، وسكنت حركاته، قمت الى الموضع الذي تهيأ فيه الى الصلاة، فاذا انا بعين تبع فتهيأت للصلاة، ثم قمت خلفه، فاذا بمحراب كأنه مثل في ذلك الوقت فرأيته كلما مربالاً به التي فيها الوعد والوعيد يرددتها بانتحاب وحنين، فلما ان تتشع الظلام وثبت قائماً وهو يقول : يامن قصده الضالون فاصابوه مرشدأً ، وأمه الخائفون فوجدوه معقلأً ولجأ اليه العابدون فوجدوه موئلاً ، متى راحة من نصب لغيرك بدنك ، ومتى فرح من قصد سواك بنيته ، الهي قد تتشع الظلام ولم اقض من خدمتك وطراً ، ولا من حياض مناجاتك صدرأً ، صل على محمد واله وافعل بي اولى الامرين بك يا ارحم الراحمين ، فخفت ان يفوتني شخصه وان يخفي علي امره فتعلقت به ، فقلت : بالذى اسقط عنك هلاك التعب ، ومنحك شدة لذذ الرهب ، الا ما لحقتنى منك جناح رحمة وكتف رقة فاني ضال ، فقال : لو صدق توكلك ما كنت ضالاً ، ولكن ابتغى واقف اثري فلما ان صارت تحت الشجرة اخذ بيدي وتخيل لي ان الارض يمتد من تحت قدمي فلما انفجر عمود الصبح قال لي : ابشر فهذه مكة ، فسمعت الضجة ورأيت الحجة ، فقلت له : بالذى ترجوه يوم الازفة يوم الفاقه من انت فقال : اذا اقسمت فانا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(١) .

الم اقل لك انه كان ومضة نور شلال ايمان — قبس من وهج

(١) المصدر رص ٤٠ / ٤١ .

كان الظلام يخيم على طرقات المدينة وقد اوى الناس الى بيوتهم ، والسماء تمطر ورياح الشتاء الباردة تعصف .. يقول : الزهري رأيته — عليه السلام — يمشي وعلى ظهره دقيق فقلت يا بن رسول الله ما هذا ؟ قال عليه السلام اريد سفراً اعد له زاداً احمله الى موضع حرير .

فقال الزهري : فهذا غلامي يحمله عنك ، فأبى (عليه السلام) .

فقال الزهري : انا احمله عنك فأبى ارفعك (واجلك) عن حمله .

فقال علي بن الحسين — عليه السلام — : لكني لا ارفع نفسي (ولا اجل نفسي) عما ينجيني في سفري ، ويسهل ورودي على ما ارد عليه . (واضاف الامام قائلا) اسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتي . فانصرف عنه ، فلما كان بعد ايام قال له يا بن رسول الله لست ارى لذلك السفر الذي ذكرته اثرا .

قال : بلى يا زهري ! ليس ما ظننت ، ولكنه الموت وله استعد ، (واضاف الامام لبيان هدف حمله تلك البضاعة في الليل الى بيت الفقراء) انما الاستعداد للموت تجنب الحرام ، وبذل النفوس في

الخير .. (1)

(1) المصدر ص ٤٩ .

ان جذور شخصية الامام زين العابدين تمتد في افق معرفته بالله
ويقينه باليوم الآخر، ووعيه للسرعة الخاطفة التي تتبع ساعات الليل
والنهار عمر البشر، وتزاحم الواجبات عليه !

حينما يسأله رجل كيف اصبحت يابن رسول الله يقول : (اصبحت
مطلوبـاً بشـمان : الله يطلبـني بالـفـرـائـض ، والنـبـيـ (صـ) بالـسـنـة ، والعـيـالـ
بالـقـوـتـ ، والنـفـسـ بالـشـهـوـةـ ، والـشـيـطـانـ بـاتـبـاعـهـ ، والـحـافـظـانـ بـصـدـقـ الـعـلـمـ ،
وـمـلـكـ الـمـوـتـ بـالـرـوـحـ ، وـالـقـبـرـ بـالـجـسـدـ).

فانا بين هذه الخصال مطلوب(١)

انه كان مثلاً رائعاً للآية الكريمة :

«الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما
خلقـتـ هـذـاـ باـطـلـاـ سـبـحـانـكـ فـقـنـاـ عـذـابـ النـارـ»(٢)

لقد احب الله حتى فاضت على شفاهه روافد الحب في صورة
ابتهاـلاتـ وـمـنـاجـاهـ سـجـلـ التـارـيخـ جـ: ٤ بـسيـطاـ جـداـ منـهاـ فيـ صـحـيفـتهـ
المـعـرـوفـةـ بـ(ـالـسـجـادـيـةـ) لـنـسـتـمعـ إـلـىـ هـذـ الرـائـعـةـ التـيـ نـبـهـ الأـبـصـارـ.

(١) في رحاب أئمة أهل البيت ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٢) آل عمران / ١٩١ .

«فقد انقطعت اليك همتى ، وانصرفت نحوك
رغبتي ، فأنتَ لا غيرك مرادي ، ولك لا لسواك
سهرى وسهادى ، ولقاوک قرة عيني ، ووصلك منى
نفسى ، واليك شوقى ، وفي محبتك ولهى ، وإلى
هواك صبابتى ، ورضاك بعثتى ، ورؤيتك حاجتى ،
وجوارك طلبى ، وقربك غاية سؤلى ، وفي مناجاتك
روحى وراحتى ، وعندك دواء علتنى ، وشفاء
غلتى ، وبرد لوعتى ، وكشف كربتى ، فكن أنيسي
في وحشتى ، ومقيل عثرتى ، وغافر زلتى ، وقابل
توبتى ، ومجيب دعوتى ، وولي عصمتى ، ومعنى
فاقتى ، ولا تقطعنى عنك ، ولا تبعدنى منك ،
يانعىمي وجنتى ، ويا دنیا وآخرتى ، يا أرحم
الراحمين»^(١)

أيُّ قلبٍ مفعِّمٍ بالإيمان هذا الذي يفيض بهذه الكلمات المضيئة ،
أي فؤاد ملتهب بشوق الله متيم بحب الله يشع بهذه المناجاة ؛ إنَّه قلب
ذلك الإمام الذي كانت الصلاة احْبَ الامور اليه ، وكان الذكر شغله
الشاغل والعبادة صبغة حياته !

فقد دخل على الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان فاستعظم عبد

(١) مفاتيح الجنان / ص ١٢٤ .

الملك ما رأى من اثر السجود بين عيني علي بن الحسين — عليه السلام — فقال : يا ابا محمد لقد بين عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله الحسنى وانت بضعة من رسول الله — صلى الله عليه وآلـه وسلم — قريب النسب وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ، ولقد أتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يتوئه أحد مثلك ولا قبلك الا من مضى من سلفك ، واقبل يشني عليه ويطريه ، قال : فقال علي بن الحسين — عليه السلام — :

«كَلَمَا ذَكَرْتَهُ وَوَصَفْتَهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَأْيِيدهِ وَتَوْفِيقَهِ فَأَيْنَ شَكْرَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَقْفَ في الصَّلَاةِ حَتَّى تُرْقَمَتْ قَدْمَاهُ، وَيَظْمَأُ فِي الصَّيَامِ حَتَّى يَعْصِبَ فُوهُ، فَقَيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلمْ يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخِرَ؟ فَيَقُولُ (ص) إِفْلَا كَأَوْنَ عَبْدًا شَكُورًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَى وَابْلَى، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى، وَاللَّهُ لَوْ تَقْطَعُتْ أَعْضَائِي، وَسَالَتْ مَقْلَنَاتِي عَلَى صَدْرِي، لَنْ أَقُومَ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالَهُ بِشَكْرِ عَشْرِ العَشِيرِ مِنْ نَعْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جَمِيعِ نَعْمَهُ الَّتِي لَا تُحْصِيهَا الْعَادُونَ، وَلَا يَبْلُغُ حَدَّ نَعْمَةٍ مِنْهَا عَلَى جَمِيعِ حَمَدِ الْحَامِدِينَ،

لأ والله او يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره
وذكره ، في ليل ولا نهار ، ولا سر ولا علانية ، ولو لا
ان لأهلي علي حقاً ، ولسائر الناس من خاصهم
وعامهم علي حقوقاً لا يسعني الا القيام بها حسب
الواسع والطاقة حتى اوديها اليهم لرمي بطرفها
الى السماء ، وبقلبي الى الله ، ثم لم ارددهما
حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين .

وبكى (ع) و بكى عبد الملك وقال : شتان بين عبد طلب الآخرة و سعي
ها سعيها ، وبين من طلب الدنيا من اين جاءته ماله في الآخرة من خلاق ، ثم
اقبل يسأله عن حاجاته وعما قصد له فشققه فيمن شفع ، ووصله بالـ »(١)« .

وعندما يراه طاووس في اخريات الليل يطوف بالبيت الحرام يرى
منه عجبا حتى يشقق عليه لنستمع اليه ، يروي قصته :

رأيته يطوف من العشاء إلى سحر و يتبعده ، فلما لم ير أحداً رقم
السماء بطرفه ، وقال :

«إلهي غارت نجوم سماواتك ، وهجعت عيون
أنامك ، وابوابك مفاتحات للسائلين ، جئتك لتعفر

(١) بح / ص ٥٧ .

لي وترحمني، وترىني وجه جدي محمد(ص) في
 عرصات القيامة» ثم بكى وقال : «وعزتك وجلالك
 ما اردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك اذ
 عصيتك وانا بك شاك ، ولا بنكالك جاهم ، ولا
 لعقوبتك متعرض ، ولكن سوت لي نفسي ،
 واعانني على ذلك سترك المرخي به علي ، فالآن
 من عذابك من يستنقذني ؟ وبoglobin من اعتصم إن
 قطعت حبلك عنك ؟ فواسوأناه جداً من الوقوف
 بين يديك ، اذا قيل للمخففين جوزوا ، وللمثقلين
 حطوا ، أمع المخففين أجوز ؟ أم مع المثقلين أحاط ؟
 ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم اتب ،
 أما آن لي أن استحي من ربي ؟!» .

ثم بكى وانشأ يقول :

أحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتني
 أتيت بأعمالٍ قباج رزية وما في الورى خلق جنى كجناحتي
 ثم بكى وقال :

«سبحانك ثم نعمتى كأنك لا ترى ، وتحلم كأنك
 لم تعص ، تتوذد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك

الحاجة إليهم، وأنت ياسيد الغني عنهم».

ثم خر إلى الأرض ساجداً ، قال : فدنت منه وشلت برأسه ووضعته على ركبتيه وبكيت حتى جرت دموعي على خده ، فاستوى حالساً وقال :

«من الذي أشغلي عن ذكر ربي؟»

فقلتُ : أنا طاوس يا ابن رسول الله ما هذا الجزء والفزع ؟

ونحن يلزمـنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصـون جـانـون، أبوـك الحـسـين
بنـ عـلـيـ وأـمـكـ فـاطـمـةـ الزـهـراءـ، وجـدـكـ رـسـولـ اللهـ — صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ
وـسـلـمـ — ؟! قالـ : فالـتـفـتـ إـلـيـ وـقـالـ :

«هيهات هيهات يا طاوس دع عنی حديث ابی
وامی وحدی ، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن
ولو کان عبداً حبشاً ، وخلق النار لمن عصاه ولو
کان ولداً فرشياً ، أما سمعت قوله تعالى : «فإذا
نُفِخَ في الصور فلَا انساب بینهم يوْمئذ ولا
يتساءلون»؟ والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة تقدمها
من عمل صالح» (١)

(١) قصته في المسجد الحرام مع طاووس.

ولأنه أحب الله فقضى إليه أمره وسلم له أشد التسليم، وهو—عليه السلام—يروي عن نفسه القصة التالية ؛ يقول :

«مرضت مرضًا شديداً فقال لي أبي : ما تشتهي ؟
فقلت : اشتاهي أن أكون من لا أفترح على الله ربِّي ما يدبُّه لي ؟ فقال لي : أحسنت ، ضاهايتَ إبراهيم الخليل — صلوات الله عليه — حيث قال جبرئيل^(١) هل من حاجة فقال : لا أفترح على ربِّي ، بل حسبي الله ونعم الوكيل»^(٢) .

وهكذا أحبه الله وأكرمه ورفع شأنه واجرى على يديه تقديره والزم الناس ولائيته .

والقصة التالية تعكس مدى حب الله للإمام زين العابدين — عليه السلام — :

القصة يرويها طائفة من عباد البصرة وفقهاوها .. وهم ثابت البناي ، وايوب السجستاني ، وصالح المري ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفارسي ، ومالك بن دينار

(١) قال له ذلك عندما هم الطفاة رميَ في النار عبر المنجنيق .

(٢) المصدر / ص ٦٧ .

ننقل فيما يلي نص ما جاء في هامش كتاب بحار الأنوار ج ٤٦
ص ٥٠ عن هؤلاء العباد بالترتيب :

اولا / ثابت البخاري : من التابعين وقد ترجمه ابو نعيم في حلية الاولىء (ج ٢ ص ٣١٨ الى ص ٣٣٣) فقال : ومنهم المتبعد الناصل ، المتهجد الذابل ، ابو محمد ثابت بن مسلم البخاري وذكر انه اسند عن غير واحد من الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن الزبير ، وشداد وانس . واكثر الرواية عنه ، وروي عنه جماعة من التابعين منهم : عطاء بن ابي رياح ، وداود ابن ابي هند ، وعلي بن زيد بن جدعان ، والاعمش وغيرهم .

ثانياً / ايوب السجستاني : من التابعين قال ابو نعيم في حلية الاولىء وقد ترجمه في (ج ٣ من ص ٣ الى ص ١٤) ومنهم فتى الفتیان ، سید العباد والرهبان ، المنور باليقين والایمان السجستاني ايوب بن كيسان كان فقيها محجاجاً ، وناسكاً حجاجاً ، عن الخلق آيسا ، وبالحق آنسا .

أسند ايوب عن انس بن مالك ، وعمرو بن سلمة الجرمي ، ومن قدماء التابعين ، عن ابي عثمان الهندي ، وابي رجاء العطاردي ، وابي العالية ، والحسن ، وابن سيرين وابي قلابة .

وذكره الاردبيلي في جامع الرواية ج ١ ص ١١١ فقال : ايوب بن

ابي تميمة كيسان السختياني العنزي البصري كنيته ابو بكر مولى عمار بن ياسر، وكان عمار مولى فهو مولى وكان يحلق شعره في كل سنة مرة، فاذا طال فرق مات بالطاعون بالبصرة سنة ١٣١ .

ثالثا / صالح المري : هو ابن بشير وصفه ابو نعيم في الحلية (ج ٦ ص ١٦٥) بقوله : (القاري الدربي ، والواعظ التقى ، ابو بشير صالح بن بشير المري ، صاحب قراءة وشجن ومخافة وحزن ، يحرك الاخيار ، ويفرك الاشرار).

اسند عن الحسن ، وثبتت ، وقتادة ، وبكر بن عبد الله المزنبي ، ومنصور بن زاذان وجعفر بن زيد ، ويزيد الرقاشي ، وميمون بن سياه ، وابان بن ابي عياش ، ومحمد بن زياد ، وهشام بن حسان ، والجريري ، وقيس بن سعد ، وخليد بن حسان في اخرين .

رابعاً / عتبة الغلام : هو الحر الهمام ، المجلوم من الظلام ، المكلوء بالشهادة والكلام ، قال عبيد الله بن محمد : عتبة الغلام هو عتبة بن ابان بن صمعة ، مات قبل ابيه ، وسئل رباح القيسى عن سبب تسمية عتبة بالغلام فقال : كان نصفا من الرجال ، ولكننا كنا نسميه الغلام لانه كان في العبادة غلام رهان ، استشهد وقتل في قرية الحباب في غزو الروم ، ترجمة مفصلا ابو نعيم في الحلية (ج ٦ ص ٢٢٦ الى ٢٣٨).

خامساً / حبيب الفارسي ، قال ابو نعيم في الحلية (ج ٦

ص ١٤٩) : ابو محمد الفارسي من ساكني البصرة ، كان صاحب المكرمات ، مجاب الدعوات ، وكان سبب اقباله على الآجلة وانتقاله عن العاجلة ، حضوره مجلس الحسن بن ابي الحسن فوقيت موعظته من قلبه .. وتصدق باربعين الفا في اربع دفعات .

سادساً / مالك بن دينار ابو يحيى وصفه ابو نعيم في الحلية بقوله : العارف الناظر ، الخائف الجبار .. كان لشهوات الدنيا تاركاً ، وللنفس عند غلبتها مالكاً ، وقد اطال في ذكره (ج ٢ من ص ٣٥٧ الى ٣٨٩) .

«استجابة دعاءه عليه السلام»

عن ثابت البناني قال : كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة مثل ايوب السجستاني وصالح المري وعتبة الغلام وحبيب الفارسي ومالك بن دينار فلما ان دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً ، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث ، ففرز علينا أهل مكة والحجاج يسألونا ان نستسقي لهم ، فاتينا الكعبة وطفنا بها ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها ، فمنعنا الإجابة ، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد اقبل ، قد اكربه احزانه ، واقفته اشجانه ، فطاف بالکعبه أشواطاً ، ثم اقبل علينا فقال : يا مالك بن دينار ، ويَا ثابت البناني ، ويَا ايوب السجستاني ، ويَا صالح المري ، ويَا عتبة الغلام ، ويَا حبيب الفارسي ، ويَا سعد ، ويَا عمر ، ويَا صالح

الاعمى ، ويا رابعة ، ويا سعدانه ، ويا جعفر بن سليمان ، فقلنا : لديك
وسعديك يا فتى فقال : اما فيكم احد يحبه الرحمن ؟ فقلنا : يا فتى
عليينا الدعاء وعليه الاجابة ، فقال : ابعدوا من الكعبة ، فلو كان فيكم
احد يحبه الرحمن لأجابه ، ثم اتى الكعبة فخر ساجداً فسمعته يقول في
سجوده : سيدني بحبك لي إلّا سقيتهم الغيث ، قال : فما استتم الكلام
حتى اتاهم الغيث كأفواه القرب ، فقلت يا فتى : من اين علمت انه
يحبك ؟ قال : لولم يحبني لم يستزني ، فلما استزارني علمت أنه
يحبني فسألته بحبه لي فأجابني ، ثم ولی عننا وانشأ يقول :

من عرف الرب فلم يغنه معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضر في طاعة الله وماذا لقي في طاعة الله ما ناله
ما يصنع العبد بغير التقى والعز كل العز للمنتقى
فقلت : يا اهل مكة من هذا الفتى ؟ قالوا : علي بن الحسين (ع)
بن علي بن ابي طالب .

وعن المنهاج بن عمرو في خبر قال : حججت فلقيت علي بن الحسين عليما السلام فقال : ما فعل حرملة بن كاهل ؟ قلت : تركته حرياً بالكوفة ، فرفع يديه ثم قال - عليه السلام - : اللهم أذقه حرّ الحديد ، اللهم أذقه حرّ النار ، فتوجهت نحو المختار ، فإذا بقوم يركضون ويقولون البشرة أيها الأمير ، قد أخذ حرملة ، وقد كان توارى عنه ، فأمر بقطع يديه ورجليه وحرقه بالنار .

وكان زين العابدين عليه السلام يدعوفي كلّ يوم أن يريه الله قاتل أبيه مقتولاً، فلما قتل المختار قتلة الحسين – صلوات الله وسلامه عليه – بعث برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد مع رسول من قبله إلى زين العابدين، وقال لرسوله: إنه يصلّي من الليل، وإذا أصبح وصلّى صلاة الغداة هجع، ثمّ يقوم فيستاك ويؤتي بعده، فإذا أتيت بابه فاسأله عنه فإذا قيل لك: إنّ المائدة وضعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرأسين على مائته، وقل له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا ابن رسول الله قد بلغك الله ثارك فعل الرّسول ذلك: فلما رأى زين العابدين – عليه السلام – الرأسين على مائته خرّ ساجداً وقال:

«الحمد لله الذي أجاب دعوتي وبلغني ثاري من قتلة أبي، ودعا للمختار وجزاه خيراً»^(١)

حينما نعرف جانباً من شخصية الإمام زين العابدين (ع)، ومدى تفانيه في ذات الله، وذوبانه في تيار حب الله، وخلوصه من شوائب المصلحة المادية نعرف – حينئذ – جانباً من حكمـة الولاية، وذلك التأكيد الشديد عليها في نصوص الإسلام، فمثل ولـاية الإمام السجاد تصلح نفس الإنسان وتتسامـي في معارج الكمال، إن ولـاية الانبياء والـوصـيـاء تصبـغ شخصـية المجتمع المؤمن بصبغـة الإيمـان وـتيسـر له العمل

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٦ ص ٥٣ - ٥١.

بتعاليم اولياء الله، والسعى وراء تمثيل شخصياتهم الالهية، كما ان تلك الولاية تسقي روضة حب الله في افئتهم وتصونها من الذبول لان حب اولياء الله يفيض من حب الله، وكما تفيض الرواقي من نبع زخار، بل ان حب اولياء الله هو انبساط لحب الله، وامثلة له وشواهد عليه! وكيف يمكن ان يدعى احد انه يحب الله ثم لا يحب من هام في حب الله حتى بلغ ما بلغه الامام زين العابدين من العبادة والتهجد؟!
اولم يقل ربنا العزيز :

(**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله**)^(١).

تعالوا : نفترض من نبع الله حب الله فيضا ، تعالوا نحب اولياءه اكثر مما مضى ، حتى تظهر افئتنا من اهواء الدنيا ومن ادران حب اهلها اللئام .

(١)آل عمران / ٣١ .

الفصل الثاني

● ميلاده وعصره

كان الامام زين العابدين في قلب الاحداث السياسية التي ساهمت في تكوين الامة الاسلامية ، ورسم ملامحها التاريخية ..

لقد ولد الامام في بيت علي امير المؤمنين – عليه السلام – (من نجله الكريم الامام الحسين) عندما كان الامام يخوض صراعاً مريراً مع اعداء الاسلام المستترین في الجمل والصفين والنهروان، وكان والده الحسين (ع) قائداً في جيش الاسلام – يومئذ – كما كان مضطلاعاً مع والده بادارة امور المسلمين ..

ولا ريب ان تلك الاحداث الرهيبة التي لا زالت اصداها تدوين في واقعنا حتى اليوم اي بعد اربعة عشر قرنا ولا ريب انها ساهمت في صنع شخصية الوليد الكريم الذي استقبله بيت الامامة في عام (٣٥) للهجرة الكريمة .. عندما كانت الامة الاسلامية تعيش غليانا انتهى بمقتل الخليفة الثالث ، وما اعقبه من فتنة بني امية في المطالبة بدمه .

● ام السجاد

جاء في كتب التاريخ ان والدة الامام السجاد كانت (شهر بانو) بنت اخر ملوك الفرس من سلسلة الساسانية (يزدجرد) .

وكان الامبراطورية الفارسية كاي نظام جاهلي آخر قائماً على الطبقية والظلم والعدوان ، فلما اشرق نور الاسلام تهاوت كما تتهاوى شجرة منخورة امام اعصار عنيف ، وانهزم الامبراطور من بلد لآخر حتى قتل غيلة في خراسان ، وبقيت عائلته في تلك البلاد حتى فتحت على عهد عثمان في عام (٣٢) وجيء بهم الى المدينة المنورة ، فلما مثلوا امام الخليفة الثالث وحضر كبار الاصحاح اشار الامام امير المؤمنين — عليه السلام — الى الخليفة باكرامهم ورغبه في ذلك بذكر حديث الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — :

«اكرموا عزيز قوم ذل»

ولعل الحكمة في ذلك كانت استمالة الشعوب التي لم تزل تحترم قيادتها وكرماءها لكي لا تبقى بينهم وبين قبول الاسلام حواجز الحقد والضغينة .

فلما تريث الخليفة في ذلك قال الامام امير المؤمنين — عليه السلام — :

«اعتقدت منهم لوجه الله حقي وحقبني هاشم»

وتبعه في ذلك الانصار والمهاجرون ، فلم ير الخليفة بدأً من قبول الأمر ، فأشار الإمام أمير المؤمنين (ع) بأنْ يترك كل واحدة لاختيار الزوج المناسب ، فاختارت احدى بنات يزدجرد الحسين — عليه السلام — ، بينما اختارت الثانية الحسن وقيل محمد بن أبي بكر . فحملت شهر بانور في تلك السنة وفي منتصف شهر جمادي الاول لعام ثلاثة وثلاثين من الهجرة ولدت ابنها البكر وماتت هي في نفاسها ، فتكفلت به واحدة من امهات الولد عند الإمام الحسين فنشأت زين العابدين في كنفها وكان يزعم الناس انها امه بينما كانت مولاً لها (١)

في السابعة من عمره استشهد جده الإمام أمير المؤمنين (ع) في

(١) اعتمدنا في بعض ما ذكرنا على رواية مأثورة عن الإمام الرضا (ع) في بحار الانوار / ج ٤٦ ص ٨ حيث ذكر ان حادثة اسر بنات يزدجرد كانت في عهد عثمان خلافاً لبعض الروايات التي ترى انها وقعت في عهد عمر وهي بعيدة عن السياق التاريخي لمجمل الاحداث كفتح خراسان وتاريخ ولادة الإمام زين العابدين وما اشبه ..

محرابة الكوفة وبعد شهر عاد اهل البيت الى المدينة حيث ترعرع علي بن الحسين (ع) في ربوعها المضوعة بعطر الرسول ، فلما بلغ السابعة عشر اغتيل بالسم عمه الامام الحسن المجتبى .

وعاش الامام السجاد — عليه السلام — يمارس في ظلال والده الامام الحسين — عليه السلام — دور الريادة في مواجهة الردة الجاهلية الاموية .

وبالرغم من قلة المعلومات التي تفضل طبيعة هذه المواجهة المتسمة بالهدوء وربما السرية ، فان ما بقيت لنا من خطب الامام الحسين — عليه السلام — ضد معاوية ، وكتبه النارية الموجهة اليه ، وما رافقت عهد معاوية من انتفاضات بقيادة اصحاب الرسول الموالين لاهل بيته — عليه وعليهم صلوات الله . اقول : ان ما بقيت لنا من ذلك تعطينا صورة كافية للحالة السياسية التي عاشها الامام السجاد ايام والده حينما كان في مقبل العمر .

● بعد عاشراء

وانى كانت قوة الحركة السياسية في عهد معاوية فانها كانت ناراً تحت رماد الهدوء السياسي الذي فرضه معاوية على الساحة بدهائه المعروف وبوسائله المختلفة من توزيع الاموال والمناصب ثمناً لسكت الطاهرين وتوزيع العسل المسموم على الاحرار وقد اشتهر عنه القول : ان

للله جنوداً من عسل ..

وكانَتُ التِّياراتُ السِّياسِيَّةُ تُنْتَظِرُ بِفَارَغِ الصَّبْرِ هلاكَ معاوِيَةَ، وَمِنْ هُنَا أَصْبَحَتْ واقعَةُ كربَلَاءَ صاعِقاً فَجَرَ الثُّورَاتُ فِي افَاقِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، لَأَنَّهَا جَاءَتْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ بَعْدِ هلاكِ وَرِيَثِ ابْنِ سَفِيَانَ، دَاهِيَّةِ الْعَرَبِ، فَافْتَتَحَتْ عَصْرُ الثُّورَاتِ الْمُنَاهَضَةِ لِلْجَاهِلِيَّةِ الْمُقْنَعَةِ.

بَعْدَ شَهَادَةِ السَّبِطِ الشَّهِيدِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — انتَفَضَتْ مَدِينَةُ الرَّسُولِ، وَخَلَعَتْ يَزِيدَ بْنَ معاوِيَةَ، وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ بِمَكَّةَ يَطَالِبُ بِالْخَلَافَةِ، وَثَارَتِ الْكُوفَّةُ بِقِيَادَةِ سَلِيمَانَ بْنِ صَرْدٍ، ثُمَّ بِقِيَادَةِ الْمُخْتَارِ وَهَكُذا أَصْبَحَتِ الثُّورَاتُ وَالْانْتِفَاضَاتُ صِبَغَةُ الْحَيَاةِ السِّياسِيَّةِ فِي الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَاسْلُوبًا شَانِحًا لِمُواجِهَةِ الطُّفِيَّانِ وَالْفَسَادِ.

وَهَكُذا نُسْتَطِيعُ أَنْ نُسَمِّيَ عَهْدَ الْإِمَامِ السَّجَادِ خَصْوَصًا فِي بَدَائِيَّاتِهِ — مِنْذَ واقعَةِ عَاشُورَاءِ — عَهْدَ الثُّورَاتِ وَالْانْتِفَاضَاتِ.

بِيدِ انَّ الثُّورَةَ بِذَاتِهَا لَيْسَ هَدْفًا مَقْدُسًا، اِنَّمَا الْهَدْفُ الْمَقْدُسُ تِلْكُ الْقِيمُ الْمُتَسَامِيَّةُ الَّتِي تَحرِكُهَا. وَالَا فَانَّ ضَرَرَهَا يَكُونُ اَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا اوْ لَيْسَتِ الثُّورَةُ بِذَاتِهَا حَالَةً تَمَرُّدٍ عَلَى النَّظَامِ وَتَعْكِيرِ جَوَّ الْاَمْنِ، وَاثَارَةِ الاضطرابِ، وَارَاقَةِ الدَّمَاءِ، بَلِي . فَهِيِ — إِذَاً — حَالَةٌ اسْتِثنَائِيَّةٌ لَا يُحَمَّدُهَا

العقلاء ، ولكنها انما تكتسب شرعيتها وقدسيتها من تلك الغايات النبيلة التي تهدفها ، فلأنها تخرج الناس من ظلمات الركود والجهل والظلم الى نور النشاط والعقل والعدالة ، أصبحت الثورة — بمعناها الشامل — صبغة حياة الانبياء والوصياء وعبد الله الابرار .

ولأنها تزيل عن قلوب الناس رين الغفلة واللامبالاة وعن تجمعاتهم سحابة الظلم والاعتداء وعن مجتمعهم كابوس الطغيان والفساد ، أصبحت مسؤولية كل حرabi ، ووسام حق لكل ذي كرامة وشرف ..

ومن هنا ركزت نصوص الوحي على هدف الثورات ضمن تعبير «القيام لله» وقال ربنا سبحانه :

«**قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِواحْدَةٍ أَنْ تَقْوِمُوا لِلَّهِ**» (١)

وقال :

«**قَوَامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءُ اللَّهِ**» (٢)

وهكذا كانت الحالة الثورية التي عمّت افاق البلاد الاسلامية ببركة استشهاد الامام الحسين — عليه السلام — بحاجة الى هوية وصبغة ،

(١) سباء / ٤٦ .

(٢) النساء / ١٣٥ .

وروح، وقيم، لكي تتكرس في ضمير الامة ولا تصبح كشعلة السعف او زوبعة الفنجان لا تثبت ان تتلاشى .. ولكي تتخذ مسارا رساليا مستقيما ، ولا تصبح اداة بيد كل طامع او متهور كأمثال عبدالله بن الزبير الذين طفقوا يستفيدون منها بابشع صورة.

فهذا ابن الزبير يصعد المنبر بعد مقتل الامام الحسين فيشتئ عليه ويلعن قاتله ويخلع يزيد، ولكن عندما احس باستتاب الامر له اظهر عداءً شديداً لآل البيت – عليهم السلام – حتى انه ترك الصلاة على جدهم النبي لكي لا يشمخوا بانوفهم عند ذكره حسب قوله ..

فمن اجل الا تصبح الحالة الثورية مطية لكل من يهوى السلطة او يبحث عن مجد مثل ابن الزبير جاء الامام السجاد – عليه السلام – يعطي لتلك الحالة هويتها الرسالية، وضيغتها الالهية وروعها التي تمثلت في قيم الوحي ، وسبيلها القويم الذي رسمته شريعة الله.

ولعل هذا اعظم دور قيادي قام به الامام السجاد – عليه السلام – ولم يكن هذا الدور نابعا من حالة مزاجية عند الامام – عليه السلام – او لانه شاهد مثلا وقائع الطف الفضيعة فاصطبغت شخصيته بها ولم يملك الا البكاء والتفجع والتبتل والضراعة .

بلى . تلك الحادثة كان لها اثراها البالغ في شخصيته الكريمة ولكن

الامام المعصوم — عليه السلام — يقوم بواجبه الالهي وليس بما تملية
حالته النفسية والشاهد على ذلك ان الامام زين العابدين — عليه
السلام — الذي اصطبغت شخصيته الكريمة بالتهجد والبكاء حمل رسالة
عاشراء بعد شهادة والده هو وعمته عقيلة الهاشميين زينب — عليها
السلام — وماذا ادرك ما رسالة عاشراء ! إنها رسالة الجرح الثائر ، والدم
المنتصر ، والالم المتمرد ، والانتفاضة التي لا تهدأ . أوَما سمعت خطبته
اللاهبة في اهل الكوفة بعد ثلاثة ايام من فاجعة الطف كيف اثارت
فيهم دفائن العطف ، ونفضت عن افئتهم غبار الرهبة والتردد فقالوا له :
مرنا بأمرك فإنما مطيعون لأمرك ، لتأخذن يزيد ونتبرأ من ظلمك
وظلمنا .

ولكنه قال لهم :

«مسألتي الا تكونوا لنا ولا علينا»

دعنا نستمع معا الى فقرات من تلك الخطبة الثائرة :

اوما الى الناس فسكتوا فحمد الله وصلى على النبي ثم قال :

«ايها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم
يعرفني اعرفه بنفسه ، انا علي بن الحسين بن

علي، انا ابن المذبح بشط الفرات، انا ابن من هتك حريمه، وانتهب ماله وسلب نعيمه، فبأيه عين تنظرن بها رسول الله – صلّى الله عليه وآلـهـ : اذا قال لكم قتلت عترتي، وهتكتم حريمي فلستم من اهتي» ثم بكى – عليه السلام – (١) .

وعندما ادخل اسيرا على ابن زياد الطاغية الذي زعم انه انتصر على الخط الرسالي والى الابد، تحداه الامام – عليه السلام – وقال له :

«سوف نقف وتفرون، ونسأل وتسألون، فأي جواب تردون، وبخصم جدنا الى النار تقادون» (٢) .

فلما هم ابن زياد بقتله قال له الامام :

«أَنْتَ تهَدِّنِي بِالْقُتْلِ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقُتْلَ لَنَا عَادَةً وَكَرَامَتَنَا مِنَ اللَّهِ الشَّهَادَةِ» .

وكان موقفه من الطاغية يزيد ذلك المجرم الذي لم يدع جريمة شنيعة الا وارتكبها في سني حكمه القصيرة ، كان موقفه قمة في

(١) ناسخ التواریخ / ج ٢ ص ١٤٠ .

(٢) المصدر / ص ١٤١ .

التحدي ومثلاً أعلى في الجهاد بالكلمة الرافضة .

ومرة أخرى حينما نال خطيب يزيد في الجامع الاموي من آل بيت
الرسول تصدى له الإمام السجاد قائلاً :

«وَيْلُكَ يَا هَذَا الْخَاطِبُ اشْتَرَيْتَ مَرْضَاهُ الْمُخْلوقَ
بِسُخْطِ الْخَالقِ فَتَبُوءْ مَقْعُدَكَ مِنَ النَّارِ»

ثم التفت إلى يزيد واستأذنه صعم: المنبر فلم يجد يزيد بدأً من ذلك
فلما تشرف به المنبر ألقى تلك الخطبة البليغة التي لا يزال صداها يدوّي
في الأفاق .

وحينما هدم طاغية العراق الحجاج بن يوسف التقي في الكعبة تصدى
له الإمام وقال :

«يَا حَجَاجَ عَمِدْتَ إِلَى بَنَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ
فَأَلْقَيْتَهُ فِي الطَّرِيقِ وَانْتَهَيْتَ كَأْنَكَ تَرَى أَنَّهُ تِرَاثٌ
لَكَ ، اصْعُدْ الْمَنْبَرَ وَانْشُدْ النَّاسَ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ
مِنْهُمْ أَخْذَ مِنْهُ شَيْئاً إِلَّا رَدَهُ» (١)

(١) عَوَالَمُ الْعُلُومُ / ج ١٨ ص ١٧٩ .

وهكذا كانت سجية الامام الشجاعه ، ولكن الظروف التي عاشها الامام لم تكن تنقصها الثورة والشجاعة ، لأن واقعة الطف قد شحنت ضمير الامة من الشجاعة ما يكفيها لقرون متتابدة وربما الى الابد انما كانت بحاجة الى صبغة ايمانية تسمو بالثورة الى اهدافها القيمة ، وهكذا اتجه الامام اليها !!

فرغم السذج من الناس ان ذلك كان مزاجا شخصيا ، كما زعموا في مثل ذلك في الانبياء فمنهم من قال : ان تضحية ابراهيم وصبر نوح ، وحدة موسى وزهد عيسى وخلق محمد — عليهم جميعاً صلوات الله — ، وسائل الصفات المتميزة لكلنبي من رسل الله — عليهم السلام — انما كانت سمات شخصياتهم ، وحالاتهم المزاجية ، ناسين ان الله اعلم حيث يجعل رسالته وانه لا يجعل رسالته الا حيث تقتضي حكمته . وان تلك الصفات التي تجلت لهم كانت ضرورية للظروف التي عاشهما والبشر الذين تعاملوا معهم . حتى لو افترضنا جدلاً ان نبياً وضع في مقام النبي آخر تبني سلوكه وعمل بمنهاجه ، بلا اختلاف قليل او كثير.

وكما الانبياء كذلك الائمه كانت لكل واحد منهم صحيفة يعملون بها وكانت مرسومة ضمن السياق التاريخي الذي عاشه . وحسب تلك الصحيفة الالهية عمل الامام السجاد ، فكانت حياته قمة في العبادة والضراعة ، وبث روح الایمان في المجتمع ، وتربيه رجال متميزين في

الزهد والتهجد، من امثال : الزهري ، وسعيد بن جبير، وعمر بن عبد الله
السبيعي واخرين ..

هكذا رسمت صحفة السجاد — عليه السلام — منهاج امامته فيما
يبدو في التركيز على الجانب الروحي على انه كان في طليعة مهام سائر
الائمة — عليهم السلام —، الا ان الحاجة اليه كان في عهد الامام زين
العابدين — عليه السلام — اشد ولذلك كان التركيز عليه اعظم ولكن
السؤال : كيف اضطلع الامام بهذه المهمة ؟ واي منهاج اتباه لبلوغ هذا
الهدف العظيم ؟

● منهاج الامام (ع) في التربية الروحية

لان ائمة الهدى هم مشاعل الحق للاجيال في كل عصر ومصر،
ولان الظروف مختلفة من جيل لاخر ومن مصر لمصر ثان، ولان الله قد
ختم بالضبط رسالته، وبأوصيائه خلفاء المعصومين ، فان حكمته
اقتضت ان تكون سيرة كل واحد منهم متميزة بهدى ومنهاج لتكون
مجمل سيرهم المتنوعة ذخيرة غنية يرجع الناس اليها ليأخذوا منها ما

يتناسب وظروفهم الخاصة ..

وكانت سيرة الامام علي بن الحسين — عليه السلام — اليمانية هي المنهاج المناسب كلياً وظروف مشابهة لظروفنا في بعض البلاد حيث حبانا الله بحالة ثورية تحتاج إلى المزيد من الروح اليمانية حتى لا تخرج الحركة عن مسارها الديني ، ولا تفسد السياسة ومصالحها وحتمياتها النقاء اليماني الذي يحتاجه العاملون في سبيل الله .

فماذا كانت سيرته ، وما هو برنامجه ؟

أولاً : كان عباد الله المخلصون دعوة إلى الله بسلوكهم قبل أن يكونوا دعوة بأسنتهم ، فما أمروا الناس بشيء إلا وسبقوهم إليه .

وكانت حياة الامام لوحنة ايمانية نقية وقد تحدثنا عنها في فصل آخر ، وقال عنه جابر بن عبد الله الانصاري الصحابي الشهير : ما رأيت في اولاد الأنبياء شخصاً كعلي بن الحسين — عليه السلام — .

ثانياً : تربية جيل من العلماء الربانين الذين ربوا بدورهم — علماء وتأثيرين وعبداء صالحين . وهكذا تماوجت تعاليم الامام عبر النفوس الزكية في حلقات متراصة كما صخرة عظيمة تلقى في بحر واسع ..

وكان في هؤلاء الرجال العرب والموالي ، ولكل قصة وتاريخ ، دعنا

نتزود من عبق سيرة حواري الامام الذين كان اكثراهم من التابعين :

الف / كان سعيد بن جبیر من اولئك التابعين الذين اقتبس من الامام زین العابدین (ع) روح الايمان .. كان مثلا في العبادة والجهاد كان يسمى بـ (بصیر العلماء) ويقرأ القرآن في رکعتين وبلغ من علمه انه اشتهر بين العلماء انه ما على الارض احد الا وهو محتاج الى علمه (١٠)

واستشهد سعيد على يد طاغية العراق الحجاج و يقول الامام الصادق — عليه السلام — :

«ان سعيد بن جبیر كان يأتی على بن الحسين
فكان علي يتنبی عليه . وما كان سبب قتل الحجاج
له الا على هذا الامر ، وكان مستقيماً» (٢٠)

ومن خلال حوار ساخن جرى بينه وبين جزاربني امية الزنیم نعرف
مدى استقامة هذا العالم الرباني .

ذكر انه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال له : انت شقي بن
كبیر.

(١) المصدر / ص ٢٨٠ .

(٢) المصدر / ص ١٨٢ .

قال : امي كانت اعرف بي سمعتني سعيد بن جبير.

وقيل انه سأله كيف يفضل ان يقتله ؟ قال : اختر لنفسك ، قال وكيف ذلك ؟ قال : لأنه لا تقتلني بقتله الا واقتلك بها يوم القيمة .

باء / وكان عمرو بن عبد الله السبعيعي الهمданى والذى يكنى بـ (ابي اسحاق) كان من ثقة الامام السجاد ، وبلغ من عبادته ان قيل عنه لم يكن في زمانه اعبد منه حيث كان يختتم القرآن في كل ليلة وقد صلى أربعين سنة صلاة الفجر بوضوء صلاة العتمة ، وكان محدثاً لا اوثق منه في الرواية عند الخاص والعام .^(١)

جيم / وكان الزهرى عاملاً في بلاط الامويين فعاقب رجلاً فمات في العقوبة، فارتاعه ذلك فخرج على وجهه هائماً، واعتكف في غار تسع سنين، فرأاه الامام السجاد^(ع) وهو في طريقه إلى الحج، فقال له : «إني أخاف عليك من قنوطك مالاً أخاف عليك من ذنبك فابعث بدية مسلمة إلى أهله، وانخرج إلى أهلك ومعالم دينك»

فقال له : فرجئت عندي ياسidi ، الله اعلم حيث يجعل رسالته ، ورجع الى بيته ، ولزم علي بن الحسين ، وكان يعد من اصحابه ، ولذلك

(١) عالم العلوم / ج ١٨ ص ٢٨١ .

قال له بعض بنى مروان : يا زهرى ! ما فعل نبيك ، يعني على بن الحسين(١) .

ومن هذه الرواية نعرف كيف كان الله يهدي الناس بالأمام حتى يصبح عامل بنى امية من كبار العلماء المعروفين عند كل الفرق الاسلامية كالزهرى .

دال / وكان سعيد بن المسيب بن حزن من كبار التابعين الذين ربهم أمير المؤمنين — عليه السلام — والتزم خط آل البيت — عليهم السلام — حتى كان من صفوة أصحاب الإمام السجاد — عليه السلام — وعنه قال :

«سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدم من الآثار»(٢) .

وقد قال رجل لسعيد يوما : ما رأيت رجلاً أورع من فلان (وذكر اسم رجل من الناس) فقال له سعيد : فهل رأيت علي بن الحسين ؟ قال لا ، قال سعيد : ما رأيت رجلاً أورع منه .(٣) .

ومثل هؤلاء طائفة كبيرة من كبار علماء الإسلام الذين أخذوا من

(١) المصدر / ص ٢٨٢ .

(٢) بحار الانوار / ج ٤٦ ص ١٣٣ .

(٣) عوالم العلوم / ج ١٨ ص ٢٨٣ .

الامام الزهد والتقوى ، والتفسir والحكمة والفقه ، حتى قال الشيخ المفید : انه روى عنه الفقهاء من العلوم مالا يحصى كثرة وحفظ عنه من الموعظ والادعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمفازی والايم ما هو مشهور بين العلماء .. وقال ابن شر اشوب : قلما يوجد كتاب زهد وموعظة لم يذكر فيه قال علي بن الحسين او قال زین العابدین (۱) .

وكان شديد الاحترام لطلبة العلوم الذين كانوا يتواجدون عليه في المدينة من اقطار العالم الاسلامي ويرى انهم وصية رسول الله .. وكان العلماء يستلهمون من سلوكه الهدى والورع قبل ان يتلقوا من منطقه العلم والمعرفة ومن لا يستلهم نور الله من تلك الطلعـة الربانية من العين التي تفيض من خشية الله ، والجبهة التي عليها ثفنـات من اثر السجود من ذلك اللسان الذي لا يبني يذكر الله .. وبالتالي من تلك السيرة التي يشع منها نور الله ..

يذكر عبد الله بن الحسن فيقول : كانت امي فاطمة بنت الحسين نائمني ان اجلس الى خالي علي بن الحسين — عليه السلام — فما جلست اليه قط الا قمت بخیر قد افتدته ، اما خشية لله محدث في قلبي لما ارى من خشيته لله ، او علم قد استفدتـه منه (۲) .

وكانت الفتوحـات الاسلامية تطوي كل يوم بلد جديداً ، وتضم الى

(۱) في رحاب ائمـة اهل البيت / ج ۳ ص ۱۹۶ .

(۲) المصدر / ص ۱۹۶ .

الجسد الاسلامي عضواً جديداً ، ولكنها كانت بحاجة الى زخم ايماني يصهر مختلف الثقافات والتقاليد والمصالح في بوتقة الامة الواحدة.

وقد تصدى الامام زين العابدين — عليه السلام — واصحابه وانصاره لهذه المسؤولية وبسبل شتى ، فقد كان شديد الاحترام للموالى وهم المنتمون الى سائر الشعوب التي دخلت في الاسلام ، بعد فتح البلاد لها ، ولما تبلغ من المعارف الالهية نصبياً كافياً .

وكان كثير من الموالى من خيرة اصحاب الامام .. كما كان الامام يتبع منهجاً فريداً في زرع القيم الالهية في ائدء ثلاثة مختاراة منهم .. حيث كان يشتري العبيد ويعامل معهم بافضل طريقة ثم يعتقهم ويزودهم بما يوفر لهم الحياة الكريمة ، فيكون كل واحد منهم ركيزة اعلامية بينبني قومه .. تعالوا نقرأ معاً اخلاق الامام في تعامله مع مواليه قبل ان نعرف كيف كان يعتقهم ، ان تلك الاخلاق الحسنة كانت مدرسة عملية لهم الى جانب التوجيه المباشر .

روي عن عبد الرزاق (أحد الرواة) انه قال : جعلت جارية لعلي بن الحسين — عليه السلام — تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلوة ، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجبه فرنم رأسه اليها فقالت له الجارية : إن الله يقول : «والكافرين الغيظ» قال : كظمت غيظي ، قالت : «والغافل عن الناس» قال لها : عفا الله عنك ، قال : «والله

يحب المحسنيين » ، قال : اذهب فأنت حرّة لوجه الله عزوجل (١) .

هكذا كان يتعامل مع الرقيق الذين اعتبرهم بعض الناس ذلك اليوم ذات طبيعة غير طبيعة الانسان فكيف لا يوتّر فيهم ذلك الخلق الرفيع .

ويروي بعضهم القصة التالية التي تعكس مستوىً رفيعاً من الصفح والسماحة والإيثار تقول الرواية :

كان عنده — عليه السلام — قوم أضياف فاستعجل خادماً له بشواعٍ كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأسبني علي بن الحسين تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله ، فقال علي للغلام وقد تحير الغلام واضطرب : «أنت حر فإنك لم تعتمد» ، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه (٢) .

وكان له مولى يتولى عمارة ضيعة له فجاء فأصاب فيها فساداً وتضييقاً كثيراً فغاظه ما رأى من ذلك وغمته ، فقرع المولى بسوطٍ كان في يده وندم على ذلك ، فلما انصرف إلى منزله أرسل في طلب المولى فجاء فوجده عاريًّا والسوط بين يديه فظنَّ أنه يريد عقوبته ، فاشتد خوفه ، فقال له علي بن الحسين :

(١) المصدر / ص ١٩٨ .

(٢) المصدر / ص ١٩٩ .

«قد كان مني إليك ما لم يتقدم مني مثله،
وكانت هفوة وزلة، خذ ذلك السوط واقتصر
مني»

فقال : يا مولاي والله ان ظننت إلا أنك تريد عقوبتي وأنا مستحق
للعقوبة ، فكيف اقتصر منك ؟! قال : «وبحكم اقتصر ؟» قال : معاذ
الله أنت في حل وسعة ، فكرر عليه ذلك مراراً والمولى يتعاظم قوله
ويجلله ، فلما لم يره يقتصر قال له : «اما إذا أبى فالضيعة صدقة
عليك» (١).

هذه نماذج من الخلق الكريم الذي اتسم به سلوك الامام مع
الموالي ، وقد كان اسلوب عتق الامام لهم متميزا يرويه التاريخ بجلال
واعجاب فقد روى ابن طاووس في كتاب شهر رمضان المعروف
بالاقبال بسنده عن الامام الصادق عليه السلام انه قال كان علي بن
الحسين - عليه السلام - اذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا له ولا
امة ، وكان اذا اذنب العبد والامة يكتب عنده اذنب فلان اذنبت فلانة
يوم كذا وكذا ، ولم يعاقبه فإذا كان اخر ليلة من شهر رمضان دعاهم
وجمعهم حوله ثم اظهر الكتاب ثم قال يا فلان فعلت كذا وكذا ولم اؤدبك
اتذكر ذلك ؟ فيقول بلى يا ابن رسول الله . حتى يأتي على اخرهم

(١) المصدر.

و يقررهم جميعاً ثم يقوم وسطهم ويقول ارفعوا اصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين ان ربك قد احصى عليك كلما عملت كما احصيت علينا كلما عملنا ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وتجد كلما عملت لديه حاضرا كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضراً فاعف واصفح يعف عنك الملك و يصفح فانه يقول وليعفوا ولি�صفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم ، وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم وينادون معه وهو واقف بينهم يبكي ويقول :

«ربنا انك امرتنا ان نعفوا عنمن ظلمنا وقد عفونا
عنمن ظلمنا كما امرت فاعف عننا فانك اولى بذلك
منا ومن المأمورين ، الهي كرمت فاكرمني اذ
كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلطني
باهل نوالك يا كريم»

ثم يقبل عليهم فيقول قد عفوت عنكم فهل عفوت عنني ما كان مني
اليكم من سوء ملكة فاني ملك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد
عادل محسن متفضل ، فيقولون قد عفونا عنك يا سيدنا وما أساءت ، فيقول
لهم قولوا اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عننا واعتقه من النار
كما اعتقد رقابنا من الرق فيقولون ذلك فيقول اللهم آمين رب العالمين
اذهبو فقد عفوت عنكم واعتقدت رقابكم رجاء للغفو عنني واعتق رقبتي
فاذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي

الناس ، وما من سنة الا و كان يعتق فيها في اخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأسا الى اقل او اكثر ، وكان يقول ان الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين الف عتيق من النار كلام قد استوجب النار فإذا كان اخر ليلة من شهر رمضان اعتق فيها مثلما اعتق في جميعه واني لاحب ان يراني الله وقد اعتقت رقابا في ملكي في دار الدنيا رجاء ان يعتق رقبتي من النار ، وما استخدم خادماً فوق حول ، كان اذا ملك عبداً في اول السنة او في وسط السنة اذا كان ليلة الفطر اعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني ثم اعتق ، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى ، ولقد كان يشتري السودان وما به اليهم من حاجة يأتي بهم عرفات فيسد بهم تلك الفرج فإذا افاض امر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال .

الفصل الثالث

• دور الامام في الاعلام الرسالي

الاعلام هو الجهر بالدعوة الى الله والى تلك القيم التي يدعوا اليها الوحي ولعل الكلمة المرادفة له في المنطق الاسلامي «الاذان» واذا كانت الدعوة الى الله هي الركيزة الاولى لرسالات الله فأن الاعلام جانب اساسي منها :

ولقد كانت واقعة الطف الرهيبة الفجيعة واحدة من اعظم الاثارات الاعلامية، اولم يقل السبط الشهيد انا قتيل العبرة؟ اولم تتواتر عن ائمة اهل البيت - عليهم السلام - : فضل البكاء عليه وزيارة قبره والدعاء تحت قبته؟

وهذا الدور الاعلامي الذي كان الهدف من استشهاد الامام الحسين عليه السلام اضطلع به الامام زين العابدين - عليه السلام - ، ومعه البقية العائدة من كربلاء وبالذات عقيلة الهاشميين زينب الكبرى - عليها السلام - ..

وبقي الامام خمسا وثلاثين سنة قائما بهذا الدور حتى رسخ في ضمير الامة قواعد الاعلام الحسيني المبارك ..

الف / وكان اول واعظم وسائل الاعلام اظهار الجانب المأساوي لواقعة الطف لتبقى راسخة في ضمير الاجيال المتصاعدة، ولتكون شعلة متقددة في افئدة المؤمنين تستثير فيهم حواجز الخير والفضيلة وتدعوهم الى الاجتهاد والايشار، ول يقولوا على مدى العصور — يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً ول يكونوا ابداً جنود الحق المتفانين في سبيل الله لكي لا تتكرر فاجعة الطف مرة اخرى — او ليكونوا اذا وقعت مشاركين فيها بسهم واقي .

من هنا نجد الامام زين العابدين واحداً من البكائين الخمسة في عداد آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد عليهم جميعاً صلوات الله .

لقد بقي باكيا بعد واقعة الطف ثلاثة وثلاثين عاماً ، ما وضع امامه طعام الا وخنقته العبرة وقال : لقد قتل ابن بنت رسول الله جائعاً ، فاذا جيء اليه بشراب انهالت دموعه فيه وقال : لقد قتل ابن بنت رسول الله عطشاناً ، واذا مر على جزار استوقفه وسئل هل سقي الشاة ماء ثم طفق بكى ويقول : لقد قتلوا سبط رسول الله ظامناً على شط الفرات .

وقد ضج بکاءه مواليه واهل بيته . قال له احد مواليه مرة : جعلت فداك يابن رسول الله اني اخاف ان تكون من اهالكين ، قال : انا اشكوبني وحزني

الى الله ، واعلم من الله مالا تعلمون ، اني لم اذكر مصرع بنى فاطمة الاختنقني العبرة^(١) .

باء / ولم يكن البكاء الرسالة الوحيدة التي حملها زين العابدين الى التاريخ ، فقد كانت رسالة الكلمة الثائرة هي المشكاة الصافية التي تشع من خلالها رسالة الكلمة ، فمنذ الايام الاولى لملحمة كربلاء عملت كلمات آل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم الامام السجاد والصادقة زينب الكبرى في هدم جدار الصمت والتردد والخوف في الكوفة وفي الشام ثم في المدينة المنورة .

وحينما فرق عامل يزيد «الاشدق» اهل البيت في البلاد الاسلامية خشية انتفاضة اهل المدينة حسب بعض الروايات التاريخية رفع لظلامه الحسين — عليه السلام — في كل حاضرة منبر وجهاز اعلامي مقتدر.

ومن اشهر خطب الامام — عليه السلام — تلك الرائعة التي اوردها في مسجد الشام ، والتي تحتوي على منهاج المنبر الحسيني الذي لو اتبناه ، لكان ابلغ اثراً وانفذ في افئدة الناس ، دعنا نتدارس في مفردات هذا المنهج قبل ان نستوحى معا نص الخطاب :

الف : حدد الامام اهداف المنبر اذ قال للخاطب الذي سبقه الى

(١) المصدر ص ٢٠٩

المنبر: اشتريت مرضات المخلوق بسخط الخالق فتبوء مقعدك من النار.. وتوجه الى يزيد وقال له : اتأذن ان اصعد هذه الاعواد فاتكلم بكلام فيه لله رضا ولهؤلاء الجلساء نفع وثواب .

اذاً لابد ان تكون توجيهات الخطيب خالصة لوجه الله وان يبحث عما يرضي الله ، وحتى ولو اسخط الطغاة ، وان ينطق بما ينفع الناس لا بما يضرهم

باء : ثم بدء الحديث بذكر الله سبحانه وحدن الناس عقابه وذكرهم بالموت والفناء ولا ابلغ من الموت موعظة ولا من الفناء رادعاً .

وجاء في بعض الروايات ان الناس قد أجهشوا بالبكاء عندما اكمل الامام حديثه عن الآخرة، مما جعل قلوبهم خاسعة تستقبل ما بينه بعدها من البصائر السياسية.

جيم : وبين الامام خطه السياسي الابلуж الذي ينتهي الى سيد المرسلين محمد واهل بيته المعصومين – صلى الله عليه وعليهم اجمعين – واسهب في بيان صفاتهم التي هي المثل الاعلى في اليقين والاستقامة والجهاد.

DAL : واشهر الامام ظلامة السبط الشهيد . وحملها راية حمراء تدعو الضمائر الحرة الى القيام من اجل الله وفي سبيل نصرة المظلومين ..

وهذه هذه اشد محاور المنبر الحسيني اثارة للعواطف وتهيجاً لکوامن الحزن والاسى .

هاء : وبعد ان امر يزيد بان يقطع عليه المؤذن حدیثه لم يترك الامام المنبر كما كان معهوداً وانما استوقفه عند الشهادة الثانية وحمل يزيد مسؤولية قتل والده مما يعني — في لغة العصر — وضع النقاط على الحروف . فلا يكفي للخطيب الحسيني ان يشير من بعيد الى الحقائق السياسية . بل لابد ان يصرح بها بوضوح حتى يتبصر الناس وتتم الحجة عليهم .

وهكذا استطاع الامام السجاد — عليه السلام — عبر هذا المنهاج الرائع ان يرزل عرش يزيد زلزالاً حتى تصل من جريمته النكراء . وتوجه الى الجماهير الغاضبة التي كادت تتبعه قائلاً : ايها الناس اتظنون انني قتلت الحسين ، فلعن الله من قتله عبيد الله بن زياد عاملی بالبصرة(۱) .
اما خطاب الامام الذي يتبعه ان يتخذ مثلاً للخطب الحسينية . فهو التالي :

«ايها الناس احذركم الدنيا وما فيها ، فانها دار زوال قد افنت القرون الماضية ، وهم كانوا اكثر

(۱) المصدر / ص ۲۰۹ .

منكم مala واطول اعمارا ، وقد اكل التراب
 جسومهم ، وغير احوالهم ، افطمعون بعدهم ،
 هيئات هيئات ، فلا بد من اللحوق والملتقى
 فتدبروا ما مضى من عمركم وما بقي ، فافعلوا فيه
 ما سوف يلتقي عليكم بالاعمال الصالحة قبل
 انقضاء الاجل وفراغ الامل ، فمن قريب تؤخذون
 من القصور الى القبور وبافعالكم تحاسبون ، فكم
 — والله — من فاجر قد استكملت عليه الحسرات ،
 وكم من عزيز قد وقع في مهالك الاهلكات ، حيث
 لا ينفع الندم ، ولا يفات من ظلم .. ووجدوا ما
 عملوا حاضراً ولا يظلم ربكم احداً» (١) ،

قالوا : فضج الناس بالبكاء لبالغ اثر مواعظه في انفسهم ثم قال :

«ايها الناس اعطينا ستا وفضلنا بسبعين : اعطينا
 العلم ، والحلم ، والسماحة ، والفصاحة ، والشجاعة ،
 والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بان منا النبي
 المختار محمداً ، ومنا الصديق ، ومنا الطيار ، ومنا
 اسد الله واسد رسوله ، ومنا سبطا هذه الامة ، من
 عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أربأته بحسبي

(١) المصدر.

ونسبي .

ايه الناس انا ابن مكة ومنى ، انا ابن زمزم
والصفا ، انا ابن من حمل الركن باطراف الرداء ،
انا ابن خير من ائزر وارتدى ، انا ابن خير من انتعل
واحتفى ، انا ابن خير من طاف وسعى ، انا ابن خير
من حج ولبى ، انا ابن من حمل على البراق في
الهواء ، انا ابن من اسرى به من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى ، انا ابن من بلغ به جبرئيل
إلى سدرة المنتهى ، انا ابن من دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى ، انا ابن من صلى بملائكة
السماء ، انا ابن من اوحى اليه الجليل ما اوحى ،
انا ابن محمد المصطفى ، انا ابن علي المرتضى ،
انا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا : لا
الله الا الله .

انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين ،
وطعن برمحين ، وهاجر الهرترين ، وبائع البيعتين
وقاتل ببدرو حنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، انا
ابن صالح المؤمنين ، ووارث النبىين ، وقائم
الملحدين ، ويعسوب المسلمين ، ونور المجاهدين

وزين العابدين، وقاج البكائين، واصبر الصابرين،
وافضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين،
انا ابن المؤيد بجبرئيل ، المنصوري بميكائيل ، انا
ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل المارقين
والناكثين والقاسطين ، المجاحد اعداءه الناصبين
وافخر من مشى من قريش اجمعين ، واول من
اجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين ، واول
السابقين ، وقاوم المعتدين ، ومبعد المشركين ،
وسهم من مرادي الله على المنافقين ، ولسان
حكمة العابدين ، وناصر دين الله ، وولي امر الله ،
وبستان حكمة الله ، وعيبة علمه .

سمح ، سخي ، بهي ، بهلول ، زكي ، ابطحي ،
رضي ، مقدام ، همام ، صابر ، صوام ، مهذب ، قوام ،
قاطع الاصلاب ، ومفرق الاحزاب ، اربطهم عنانا ،
واثبتتهم جنانا ، وامضاهم عزيمة ، واسدهم شكيمة ،
اسد باسل ، يطحنهم في الحروب اذا ازدلفت
الاسنة ، وقربت الاعنة ، طحن الرحى ويدروهم
فيها ذرو الريح الهشيم ، ليث الحجاز ، وكبس
العراق ، مكي مدني خيفي عقبي بدري احدى

شجري مهاجري ، من العرب سيدها ، ومن الوغى
ليثها ، وارت المشعرين وا ابوالسبطين : الحسن
والحسين ، ذاك جدي علي بن ابيطالب .

ثم قال :

انا ابن فاطمة الزهراء ، انا ابن سيدة النساء فلم
يزل يقول : انا انا ، حتى ضج الناس بالبكاء
والنحيب ، وخشي يزيد لعنه الله ان يكون فتنه فأمر
المؤذن فقطع عليه الكلام فلما قال المؤذن الله اكبر
قال علي : لا شيء اكبر من الله ، فلما قال : اشهد
ان لا اله الا الله ، قال علي بن الحسين : شهد بها
شعري وبشري ولحمي ودمي ، فلما قال المؤذن
اشهد ان محمدًا رسول الله التفت من فوق المنبر
الي يزيد فقال : محمد هذا جدي ام جدك يا
يزيد ؟ فان زعمت انه جدك فقد كذبت وكفرت ،
وان زعمت انه جدي فلم قلت عترته ؟ قال : وفرغ
المؤذن من الاذان والاقامة وتقدم يزيد فصلبى صلاة
الظهر»(١).

(١) ناسخ التواریخ / ج ٢ في حیاة الامام زین العابدین ص ٢٤١ .

● الدعاء مدرسة ومنبر

لقد بعث الله اليانا رسالته، ترى كيف نستجيب له ، ونرد الى ربنا
الرحمن التحية ؟

بالدعاء فانه منهج حديث العبد مع ربه كما ان الوحي ذروة حديث
الرب مع عباده .

والدعاء مخ العبادة . ولباب التواصل وجواهر الصلاة . وكل دعاء
حميد الا ان الله انعمه علينا حين علمنا كيف ندعوه بما قصه علينا في
كتاب من ادعية اوليائه وبما اورثنا من ادعية النبي واهل بيته عليه
وعليهم السلام ويبدو انها جمیعا ادعیة توارثها عباد الله من الانبياء ومن
ثم من الوحي الالهي .. او لا اقل هي تجلیات الوحي على افئدة الهداء
من عباد الله المقربین ، وانعکاس لمعارف الوحي على قلوبهم الزکیة
والسننهم الصادقة .

فالادعية المأثورة — اذاً — الوجه الآخر للوحي ، انه ظلاله الوارفة ،
اشعته المنيرة ، وتفسیراته وتأويلاً ته .

وهكذا كانت الادعية كنوز المعارف الربانية وتلاد الحكم التي
لاتنفد وفي طليعتها ادعية الصحف السجادية التي جمعت من كلمات
الامام زین العابدین — عليه السلام — .

ماذا كان يهدف الامام من تلك الادعية؟ لا ريب انها كانت شعاعاً من قلبه المنير بالایمان كانت فيضاً من فؤاده المتقد بحب الله، كانت الكلمات تزاحم على شفاه رجال كاد يذوب في هیام ربہ، ولم تكن تكلفا منه.

بلى قد حققت اهدافاً عديدة ابرزها تعلم عباد الله كيف يحدقون ربهم العظيم، وكيف يتضرعون اليه، ويتحببون اليه، ويلتمسون رضاه ويتوافقون على اسمائه الحسنى، كيف يطلبون منه حوائجهم وماذا يطلبون؟

وهذا الهدف الرباني تفرع بدوره الى عدة امور حياتية يذكرها المؤرخون عادة عند بيان حکمة الصحيفة السجادية. ونحن نشير اليها باختصار شديد.

آ: ان الضغوط كانت باللغة الشدة في عهد الامام الى درجة ان عقيلة الهاشميين زينب الكبرى – عليها السلام – اصبحت لفترة وسيطة في شؤون الامامة بين الامام والمؤمنين، وفي مثل تلك الظروف العصيبة كان من الطبيعي ان يثبت الامام بصائر الوحي وقيم الرسالة عبر الادعية التي مشت في الامة ولا تزال كما الشذى عند نسيم علیل !!

ب : والامام كثائر رباني لم يدع معارضه الطواغيت والفساد الذي

اوجدوه بسبب الظروف الصعبة بل عارضهم بالادعية التي لم تستطع
اجهزة النظام برغم وقتها صد الامام عنها .

وهكذا اتم الله الحجة علينا ألا ندع القيام ضد الطغاة بأية وسيلةٍ
ممكنة حتى في اشد العصور رهاباً وقمعاً .

ج : وكانت الادعية – الى ذلك – وسيلة تربية الناس على التقوى
والفضيلة والايثار والجهاد مما تضمنت من مفاهيم متسامية، ومواعظ
ربانية، فكان النخبة من ابناء الامة يتغذون عليها كما تتغذى فيه
زاكية من اشعة الشمس ارأيت الحركات المعاشرة كيف تحتاج الى
زخم ثوري يدفع ابناءها قدما في طريق المعارضة كالنشرات السرية
والجلسات الخاصة .

والشعارات والبيانات، فان تلك الصحف المطهرة كانت غذاءً
رسالياً لتلك النخبة المؤمنة في مواجهة النظام الاموي .

ولا تزال ادعية الامام التي جمعتها مجموعة كتب تسمى جميعاً
بالصحيفة السجادية ونحن درجنا على تسميتها بالصحف السجادية
لا تزال هذه الادعية ذلك الزخم الایمانی الذي يوفر لنا الروح الایمانية
في الايام العصيبة . ولا اظن – بعد القرآن – دتابا يكون تسلية لفؤاد
المحروميين ، وثورة في دماء المستضعفين – ونورا في افة المجاهدين

وهدى على طريق التأثرين — كما هي الصحف السجادية، فسلام الله على تلك الزكية التي فاضت بها وسلام الله على من تبتل بها مع كل صباح ومساء.

● الشعر هنبر سيار

تناغم الحياة ينعكس في ضمير الانسان بحب اوزان الشعر ومعانيه البدعة. وكانت العرب في الجاهلية وفي العصور الاسلامية الاولى باللغة الاهتمام بالشعر. وقد مدح ربنا سبحانه في سورة الشعرا اولئك المؤمنين منهم الذين ينتصرون لمظلوم وقد اهتم ائمة الهدى — عليهم السلام — بالشعر كهنبر سيار يمشي بين الناس بانسياب. وكما ان الطغاة بدورهم استخدمو الشعرا مطية لاعلامهم المضلل وقد نظم الامام زين العابدين عليه السلام — الشعر وشهر ما ينقل عنه تلك الرائعة التي يقول فيها :

نحن بنو المصطفى ذوو غصص
يجرعها في الانام كاظمنا
عظيمة في الانام محنتنا
او لنا مبتلى و آخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم
ونحن اعيادنا مأتمنا
والناس في الامن والسرور وما
يؤمن طول الزمان خائفنا
ما خصصنا به من الشرف الطا
ئل بين الانام آفتنا
يحكمنا والحكم فيه لنا
جاحدنا حقنا وغاضبنا^(١)

(١) بحار الانوار / ج ٤٥ ص ١٣٨ / ١٣٩.

ونسب اليه ابن شهر اشوب في المناقب قوله :

لكم ما تدعون بغير حق
عرفتهم حقنا فجحدتمونا
كتاب الله شاهدنا عليكم
اما تأييده للشعراء المدافعين عن الحق ، فنعرفه من خلال قصة مع
الفرزدق الذي كان محسوبا على بلاط الامويين ، الا انه كان ينتمي
تاريا خيا الى البيت العلوي فلما وجد فرصة فاضت قريحته بالرائعة
المعروفة فلما غضب عليه هشام والسلطة الاموية واعتقل ، بادر الامام
بحائزته وبقي الى اخر حياته يعيش في ظل الامامة الاسلامية حسبيما
يدرك بعض المؤرخين .

اما رائعته وقصتها . فهي التالية :

رواها السبكي في طبقات الشافعية بسند، المتصل الى ابن عائشة
عبد الله ابن محمد عن ابيه قال : حج هشام بن عبد الملك او الوليد
فطاف بالبيت فجهد ان يصل الى الحجر فيستلمه فلم يقدر عليه فنصب
له منبراً وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه اهل الشام اذ اقبل علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب وكان من احسن الناس وجهاً واطيبهم
ارجاً فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر تحنى له الناس حتى يستلمه فقال

(١) في رحاب اهل البيت / ج ٣ ص ٢٤٩ .

رجل من اهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة ، فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً فقال الفرزدق : ولكنني اعرفه ، قال الشامي من هو يا ابا فراس ؟ فقال الفرزدق وقد توافقت روايتا سبط ابن الجوزق والسبكي الا في ابيات يسيرة وهذا ما ذكراه :

والبيت يعرنه والحل والحرم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
ركن الحظيم اذا ما جاء يستلم
الى مكارم هذا ينتهي الكرم
او قيل من خير اهل الارض قيل لهم
بجده انباء الله قد ختموا
العرب تعرف من انكرت والعم
فما يكلم الا حين يبتسم
عنها الاكف وعن ادراكها القدم
وفضل امته دانت له الامم
كالشمس تنجب عن اشرافها الظلم
طابت عناصره والخيام والشيم
جري بذاك له في لوعة القلم

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
هذا ابن خير عباد الله كلهم
يكاد يمسكه عرفان راحته
اذا رأته قريش قال قائلها
ان عد اهل التقى كانوا ذوي عدد
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
وليس قولك من هذ بضائره
يغضي حياءً ويفضي من مهابته
ينمي الى ذروة العز التي قصرت
من جده دان فضل الانبياء له
ينشق نور الهدى عن صبح غرته
مشتقة من رسول الله نبعثه
الله شرفه قدمًا وفضله

كُلْتَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمْ نَفْعُهُمَا
سَهْلٌ الْخَلِيقَةَ لَا تَخْشِي بُوادِرَهُ
حَمَالٌ اثْقَالٌ أَقْوَامٌ إِذَا فَدَحُوا
مَا قَالَ لَا قَطْ إِلَّا فِي تَشْهِدَهُ
عُمَ الْبَرِّيَّةَ بِالْأَحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
مِنْ مَعْشِرِ حَبْهُمْ دِينٌ وَبَعْضُهُمْ
لَا يُسْتَطِعُ جَوَادُ بَعْدِ غَايَتِهِمْ
هُمُ الْغَيُوتُ إِذَا مَا ازْمَتْ
لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بِسَطَا مِنْ أَكْفَهُمْ
يُسْتَدْفِعُ السَّوْءُ وَالْبَلْوَى بِحَبْهُمْ
مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحْلَّ الذَّمُ سَاحِتَهُمْ
إِيَّ الْخَلَائِقِ لَيْسَ فِي رَقَابِهِمْ
مِنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أُولَئِكَ ذَا

يُسْتُوكْفَانَ وَلَا يَعْرُوهُمَا الدُّمْ
يُزَيِّنُهُ اثْنَانَ حُسْنَ الْخَلْقِ وَالْكَرْمِ
رَحْبُ الْفَنَاءِ ارِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ
لَوْلَا التَّشَهِدُ كَانَتْ لَا وَهُ نَعْمَ
عَنْهُ الْغِيَابَةُ لَا هَلْقٌ وَلَا كَهْمٌ
كَفَرُ وَقَرْبَهُمْ مُلْجَا وَمُعْتَصِمٌ
وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَانْ كَرْمُوا
وَالْأَسْدَادُ الشَّرِّيُّ وَالرَّأْيُ مُحْتَدَمٌ
سَيَانٌ ذَلِكَ أَنْ اثْرَوُا وَانْ عَدَمُوا
وَيُسْتَرِبُ بِهِ الْأَحْسَانُ وَالنَّعْمَ
فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمُخْتَومٌ بِهِ الْكَلْمَ
خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدِي بَالْنَّدَى هَضْمٌ
لَا وَلِيَةَ هَذَا أَوْلَهُ نَعْمَ
الَّدِينِ مِنْ بَيْتٍ هَذَا نَالَهُ الْأَمْمَ

هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَغَضِبَ هَشَامٌ وَأَمْرَ
بِحَبْسِ الْفَرِزَدْقَ بِعَسْفَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَبَعْثَ إِلَيْهِ عَلِيًّا بِالْفَ دِينَارٍ
فَرَدَهَا وَقَالَ : أَنَّمَا قَلْتَ مَا قَلْتَ غَصْبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَمَا آخَذَ عَلَيْهِ أَجْرًا فَقَالَ
عَلِيٌّ : نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَعُودُ إِلَيْنَا مَا أَعْطَيْنَا فَقَبَلَهَا الْفَرِزَدْقُ وَهَجَاهَا هَشَاماً
فَقَالَ :

يحسبني بين المدينة والتي
اليها قلوب الناس يهوي مني بها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعينا له حملاء باد عيوبها
فاخبر هشام بذلك فاطلقه ولكنه قطع راتبه من الديوان ، وكان الف
دينار سنويا فاشتكى الى الامام فاعطاه اربعين الف دينار وقال له لو
كنت تحتاج الى اكثرا عطيتك فعاش الفرزدق اربعين عاما ثم مات
رحمه الله.

• رسالة الحقوق

يبحث بعض الناس عن الدرجات العلى في الايمان و يتساءل :
كيف اجتهد حتى اصبح مؤمنا حق الايمان ؟ لمثل هؤلاء كتب الامام
زين العابدين - عليه السلام - رسالة الحقوق التي تشرح واجبات
المؤمن و مسؤولياته تجاه الخالق والناس و تحدد بالتالي : طبيعة العلاقة
القائمة على اسس متوازنة وعادلة وقد استهلت الرسالة بما يلي :

«اعلم رحمك الله ان لله عليك حقوقا محيبة بك
في كل حركة تحركتها، او سكنة سكتها، او منزلة
نزلتها، او جارحة قلبها، او آلة تصرفت بها، بغضها
اكبر من بعض، واكبر حقوق الله عليك ما اوجبه
عليك نفسك من قرنك الى قدمك ، على اختلاف
جوارحك ، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك

عليك حقاً، وللسائق عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الافعال، ثم جعل لأفعالك عليك حقوقاً، لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولافعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك الى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك ، وواجبها عليك حق ائمتك ثم حقوق رعيتك ، ثم حقوق رحمك»(١).

ويستمر الامام في بيان هذه الحقوق وفروعها ويبين من خلالها العلاقة المثلثة بين الانسان وبين الخلق والخالق ، ونستوحى من دراسة رسالة الحقوق البصائر التالية :

اولا : ان حديث الامام كان موجهاً للصفوة من اهل الايمان، الذين نشروا الكمال وسعوا اليه سعيه ، لذلك تجد الحقوق المذكورة في هذه الرسالة تجمع بين الحقوق الواجبة والاخرى المندوبة . بل ان اكثراها من النوع الثاني .

(١) في رحاب ائمة اهل البيت / ج ٣ ص ٢١٦ .

ثانياً : ان هذه الرسالة وامثلها التي نجدها عند ائمة اهل البيت في صيغة رسائل او وصايا مفصلة والتي جمعها العالم الكبير الحسن بن علي بن شعبه الحلبي في كتابه الفذ (تحف العقول) كانت بمثابة دروس مركزة في التربية الرسالية توارثها الصالحون من اولياء اهل البيت - عليهم السلام - بهدف بناء القدوت المثلى والطليعة المتميزة من ابنائهم ليكونوا شهداء على الناس.

وما احوجنا نحن المسلمين اليوم الى العودة اليها في مناهج التربية وبالذات في الحوزات العلمية التي هي الامتداد الرسالي لخط اهل البيت التربوي !

كذلك في التنظيمات الاسلامية، وبالذات السرية منها التي لو اتصلت بهذه الذخائر الایمانية استغنت عن كثير من الثقافات الهزيلة او الدخيلة كما استغنت عن اثاره ابناها بالعصبيات والقبليات والصنميات التي ما جلبت اليها سوى الخسارة والدمار.

ثالثاً : ان هذه الرسالة تحافظ على توازن الشخصية الایمانية وتصونها من التطرف نحو جانب من الشريعة واهمال سائر الجوانب، كلا لا بد ان تتسع صدورنا لكافة ابعاد الشريعة ، وضمن برامج محددة نجدها في مثل رسالة الحقوق.

وكلمة اخيرة :

ان هذه الرسالة تعكس البصيرة القرآنية ذات الشمول والعمق والدقة التي تتناسب ومقام الامامة لسيد الساجدين — عليه السلام — . والتي يعجز عن مثتها اي فقيه او عالم ان لم يكن متصلا برافق الرسالة الذي لا ينضب فسلام الله على من ارسلها ، وبارك الله لمن استجاب لها.

● كراماته وشهادته

استفاضت كتب الاثر بالحديث القدسي الذي ينطق عن رب العزة بالقول : «عْبَدِي أطْعَنِي تَكُنْ مَثْلِي (او مثلي) أَقُولُ لِلشَّيْءِ كَنْ فِيهِ كُونٌ وَتَقُولُ لِلشَّيْءِ كَنْ فِيهِ كُونٌ».

وكتاب ربنا العزيز حافل بامثلة واقعية من تاريخ الانبياء والصالحين الذين استجاب الله دعاءهم مما اعجز الناس . اليس طوفان نوح وسفينته ، ونيران ابراهيم التي جعلها الله بردًا وسلامًا ، وعصى موسى الذي القاه فجعله الله ثعباناً مبيناً ، وحديث عيسى في المهد صبياً ، واستجابة دعاء ابراهيم ثم زكريا حينما رزقهما الله اولاداً وقد بلغا من الكبر عتيماً . أليس كل ذلك من كرامة الله لأوليائه المخلصين ؟ . فلماذا يصعب على البعض تصديق كرامات اولياء الله الاخرين كما يصدقون بكرامات اولياء الله السابقين ؟ اوليس الحديث النبوى الشريف يقول :

«علماء امتی کأنبياء بنی اسرائیل» ، فكيف تصدق المعجزة على عهد بنی اسرائیل بنص القرآن ولا تأتي الکرامۃ على يد أهل بیت الرسول ؟

وذلك علي بن الحسين — عليه السلام — قرأنا معاً بعض صفاته . أرأیت يعز على الله سبحانه ان يجري على يديه الکرامات ومن اولى بها ممن كان على مثل تلك الصفات .. قوام اللیل ، صوام النهار ، بكاء ، سجاد و .. و ..

ونحن اذ نقتطف من تاريخه — عليه السلام — نزراً يسيراً من کراماته فلکي نزداد يقيناً بان ربنا يستجيب دعوة المخلصين من عباده الذين جأروا الى ربهم بكل کيانهم وابعاد وجودهم .. ثم نزداد للائمة من اهل البيت — عليهم السلام — حباً . أَوَلَيْسَ حِبُّهُمْ نَجَّاَهُمْ مِّنَ النَّارِ وَوَسِيلَةُ
الى الله ؟

١ / من کراماته ان الله ألهمه من علمه عبر رؤيا شاهد رسول الله فيها ، والقصة كما يلي :

روي عن الامام الصادق — عليه السلام — انه قال :

«لما وُلِيَ عبدُ الْمَلِكَ بْنَ مَرْوَانَ الْخِلَافَةَ كَتَبَ إِلَى
الْحَجَاجَ بْنَ يُوسُفَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَجَاجِ

بن يوسف ، اما بعد : فانظر دماءبني عبد المطلب
فاحققنها واجتنبها ، فاني رأيت آل ابي سفيان لما
ولعوا فيها لم يلبثوا الا قليلاً ، والسلام ، قال :
وبعث بالكتاب سراً ، وورد الخبر على علي بن
الحسين - عليه السلام - ساعة كتب الكتاب
وبعث به الى الحجاج ، فقيل له : إن عبد الملك
قد كتب الى الحجاج كذا وكذا ، وان الله قد
شكر له ذلك ، وثبت ملكه وزاده برهة ، قال :
فكتب علي بن الحسين - عليه السلام - : بسم
الله الرحمن الرحيم الى عبد الملك بن مروان امير
المؤمنين من علي بن الحسين بن علي أما بعد :
فإنك كتبت يوم كذا وكذا من ساعة كذا وكذا
من شهر كذا وكذا بكذا وكذا ، وان رسول الله
- صلى الله عليه وآله - أنبأني وخبرتني ، وان الله
قد شكر لك ذلك وثبت ملكك وزادك فيه برهة ،
وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له على
بعيره وامرها ان يوصله الى عبد الملك ساعة يقدم
عليه ، فلما قدم الغلام أوصل الكتاب الى عبد
الملك ، فلما نظر في تاريخ الكتاب وجده موافقاً
لتلك الساعة التي كتب فيها الى الحجاج ، فلم

يشك في صدق علي ابن الحسين - عليه السلام - وفرح فرحاً شديداً ، وبعث الى علي بن الحسين - عليه السلام - بوقر راحلته دراهم ثواباً لما سرّه من الكتاب»^(١).

٢ / كذلك قصته مع أبو خالد الكابلي والتي يرويها الإمام الباقر - عليه السلام - كالتالي :

«كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهراً (وهو ابن الإمام علي وعم الإمام السجاد) وما كان يشك في انه امام حتى اتاه ذات يوم، فقال له : جعلت فداك ان لي حرمة ومودة وانقطاعاً فأسئلتك بحرمة رسول الله (ص) وامير المؤمنين (ع) الا اخبرتني انت الامام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال : فقال : يا ابا خالد حلفتني بالعظيم، الامام علي بن الحسين - عليه السلام - عليّ وعليك وعلى كل مسلم ، فأقبل ابو خالد لما ان سمع محمد ابن الحنفية وجاء الى علي بن الحسين (ع) فلما استأذن عليه اخبر ان ابا خالد بالباب ، فأذن له ، فلما دخل عليه ودنا منه ، قال :

(١) بحار الانوار / ج ٤٦ ص ٤٤ .

مرحباً يا كنكر ما كنت لنا بزائر ما بدا لك فينا؟
 فخر ابو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من
 علي بن الحسين - عليه السلام - فقال : الحمد
 لله الذي لم يمتنني حتى عرفت امامي ، فقال له
 علي - عليه السلام - : وكيف عرفت امامك يا ابا
 خالد؟ قال : انك دعوتي باسمي الذي سمعتني به
 امي التي ولدتني ، وقد كنت في عمياء من
 امري ، ولقد خدمت محمد ابن الحنفية عمراً من
 عمري ولا اشك انه امام ، حتى اذا كان قريباً سأله
 بحرمة الله تعالى وحرمة رسوله (ص) وبحرمة امير
 المؤمنين (ع) فارشدني اليك ، وقال : هو الامام
 علي وعليك وعلى جميع خلق الله كلهم ، ثم
 اذنت لي فجئت فدنوت منك وسميتني باسمي
 الذي سمعتني امي ، فعلمت انك الامام الذي
 فرض الله طاعته عليّ وعلى كل مسلم» (١)

٣ / و يذكر الشيخ الطوسي القصة التالية :

خرج علي بن الحسين - عليه السلام - الى مكة حاجاً حتى
 انتهى الى وادٍ بين مكة والمدينة ، فإذا هو برجل يقطع الطريق قال :

(١) المصدر / ص ٤٦ .

فقال لعلي انزل ، قال : تريد ماذا؟ قال : اريد ان اقتلك واحذ ما معك ،
قال : فأنا أقاسرك ما معي وأحلك ، قال : فقال اللص : لا ، قال : فدع
معي ما أتبليغ به ، فأبى ، قال : فain ربك؟ قال : نائم ، قال : فإذا أسدان
مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه ، قال : زعمت أن ربك
عنك نائم^(١).

٤ / ومن كراماته ما ظهر عند وفاته ، فلقد توفي الامام بعد ان دس
اليه الامويون السم في عام (٩٤) في شهر محرم في اليوم الخامس
والعشرين ، وقيل في اليوم الثامن عشر ، وفي تلك السنة توفي طائفة من
الفقهاء حتى سميت سنة الفقهاء .. ولست استبعد ان يكون النظام
الاموي في عهد الوليد بن عبد الملك قد دس السم إلى المعارضين وفيهم
كبار الفقهاء من امثال سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن
جبير ، وجاء في التواريخ انه توفي في تلك السنة عامه فقهاء المدينة^(٢) .
وهل يعقل ان يموت كل الفقهاء في سنة واحدة وصادفهً علمًاً بان
المعروف ان الامام السجاد استشهد متاثرًا بالسم الذي دسه اليه عبد الملك
بن مروان في ظروف غامضة .

وانى كان فقد ظهرت عند وفاته كرامات منه — عليه السلام — فقد

(١) المصدر / ص ٤١ .

(٢) المصدر / ص ١٥٤ نقلًا عن تذكرة الخواص / ص ١٨٧ (طبعة ايران) وعن تاريخ ابن عساكر .

أغمي عليه فبقي ساعة ثم رفع عنه الثوب ثم قال : «الحمد لله الذي أورثنا الجنة نتبوا منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين» ثم قال : «احفروا لي (أي قبراً) وابلغوا إلى الرسخ (الثابت من الأرض) ثم مد الثوب عليه فمات» (١)

وظهرت بعد وفاته الكراهة التي ينقلها سعيد بن المسيب ، وبها نختم هذه الصفحات المشرقة بحياة الإمام زين العابدين — عليه السلام — :

روي عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وعبد الرزاق ، عن معمر ، عن علي بن زيد قال : قلت لسعيد بن المسيب انك اخبرتني ان علي بن الحسين النفس الزكية وانك لا تعرف له نظيراً ؟ قال : كذلك ، وما هو مجھول ما أقول فيه ، والله ما رؤي مثله ، قال علي بن زيد : فقلت : والله إنّ هذه الحجة الوكيدة عليك يا سعيد فلم تصلّ على جنازته ؟ فقال : إنّ القراء كانوا لا يخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين — عليه السلام — فخرج وخرجنا معه ألف راكب ، فلما صرنا بالسقية نزل فصلى وسجد سجدة الشكر ..

وفي رواية الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين ، فخرج — عليه السلام — فخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين

(١) المصدر / ص ١٥٣ .

فسبح في سجوده ، فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبحوا معه ، ففزعنا ، فرفع رأسه وقال : يا سعيد أفزعت ؟ قلت : نعم يا ابن رسول الله ، فقال : هذا التسبيح الاعظم حدثني ابي عن جدي عن رسول الله – صلى الله عليه وآلـه وسلم – انه قال : لا تبقى الذنوب مع هذا التسبيح ، فقلت : علمنا .

وفي رواية علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب أنه : سبح في سجوده فلم يبق حوله شجرة ولا مدرة إلا سبحت بتسبيحه ، ففزعـت من ذلك وأصحابـي ، ثم قال : «يا سعيد ان الله جـل جـلالـه لما خلق جـبرـئـيلـ الـهمـه هـذـا التـسـبـيـح فـسـبـحـت السـمـاـوـات وـمـن فـيـهـن لـتـسـبـيـحـه الـاعـظـم ، وـهـوـ إـسـم الله جـلـ وـعـزـ الـأـكـبـرـ، يا سـعـيدـ أـخـبـرـنـيـ اـبـيـ الـسـيـنـ، عنـ اـبـيهـ، عنـ رـسـولـ اللهـ – صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ – عنـ جـبـرـئـيلـ، عنـ اللهـ جـلـ جـلالـهـ اـنـهـ قـالـ : ماـ مـنـ عـبـادـيـ آـمـنـ بـيـ وـصـدـقـ بـكـ وـصـلـىـ فـيـ مـسـجـدـكـ رـكـعـتـيـنـ عـلـىـ خـلـاءـ مـنـ النـاسـ الـاـ غـفـرـتـ لـهـ مـاـ تـقـدـمـ مـنـ ذـنـبـهـ وـمـاـ تـأـخـرـ» فـلـمـ أـرـ شـاهـدـاـ اـفـضـلـ مـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ – عـلـيـ السـلـامـ – حـيـثـ حدـثـنـيـ بـهـذـاـ الـحـدـيـثـ ، فـلـمـاـ اـنـ مـاتـ شـهـدـ جـنـازـتـهـ الـبـرـ وـالـفـاجـرـ ، وـاثـنـىـ عـلـيـ الصـالـحـ وـالـطـالـحـ ، وـانـهـاـلـ يـتـبعـونـهـ حـتـىـ وـضـعـتـ الـجـنـازـةـ فـقـلـتـ : اـنـ اـدـرـكـتـ الرـكـعـتـيـنـ يـوـمـاـ مـنـ الدـهـرـ فـالـيـوـمـ هوـ ، وـلـمـ يـبـقـ الـاـ رـجـلـ وـامـرـأـ ، ثـمـ خـرـجاـ إـلـىـ الـجـنـازـةـ وـثـبـتـ لـاـصـلـيـ فـجـاءـ تـكـبـيرـ مـنـ السـمـاءـ فـأـجـابـهـ تـكـبـيرـ مـنـ الـأـرـضـ ، وـاجـابـهـ تـكـبـيرـ مـنـ السـمـاءـ فـاجـابـهـ تـكـبـيرـ مـنـ الـأـرـضـ ، فـفـزـعـتـ وـسـقـطـتـ عـلـىـ وـجـهـيـ فـكـبـرـ مـنـ فـيـ السـمـاءـ سـبـعاًـ وـمـنـ فـيـ الـأـرـضـ سـبـعاًـ

وصلى على علي بن الحسين—صلوات الله عليهما— ودخل الناس المسجد
فلم ادرك الركعتين ولا الصلاة على علي بن الحسين — صلوات الله
عليهما — فقلت : يا سعيد لو كنت انا لم اختر الا الصلاة على علي بن
الحسين ، ان هذا لهو الخسران المبين ، فبكى سعيد ، ثم قال : ما اردت
الا الخير ليتنى كنت صلیت عليه ، فإنه ما رؤي مثله^(١) .

محمد تقى المدرسي

طهران

١٤١٠ / صفر / ٥

(١) المصدر / ص ١٤٩ - ١٥٠ .

من هذا الكتاب

لقد كانت الحالة الثورية التي عمّت آفاق البلاد الإسلامية
ببركة استشهاد الإمام الحسين(ع) بحاجة إلى هوية وصبغة وروح
وقيم ، لكي تتكرس في ضمير الأمة ولا تصبح كزوجة الفنجان
لاتلبث أن تتلاشى .. ولذلك جاء الإمام السجاد ليعطي لتلك
الحالة الثورية هييتها الرسالية وصبغتها الahlية .